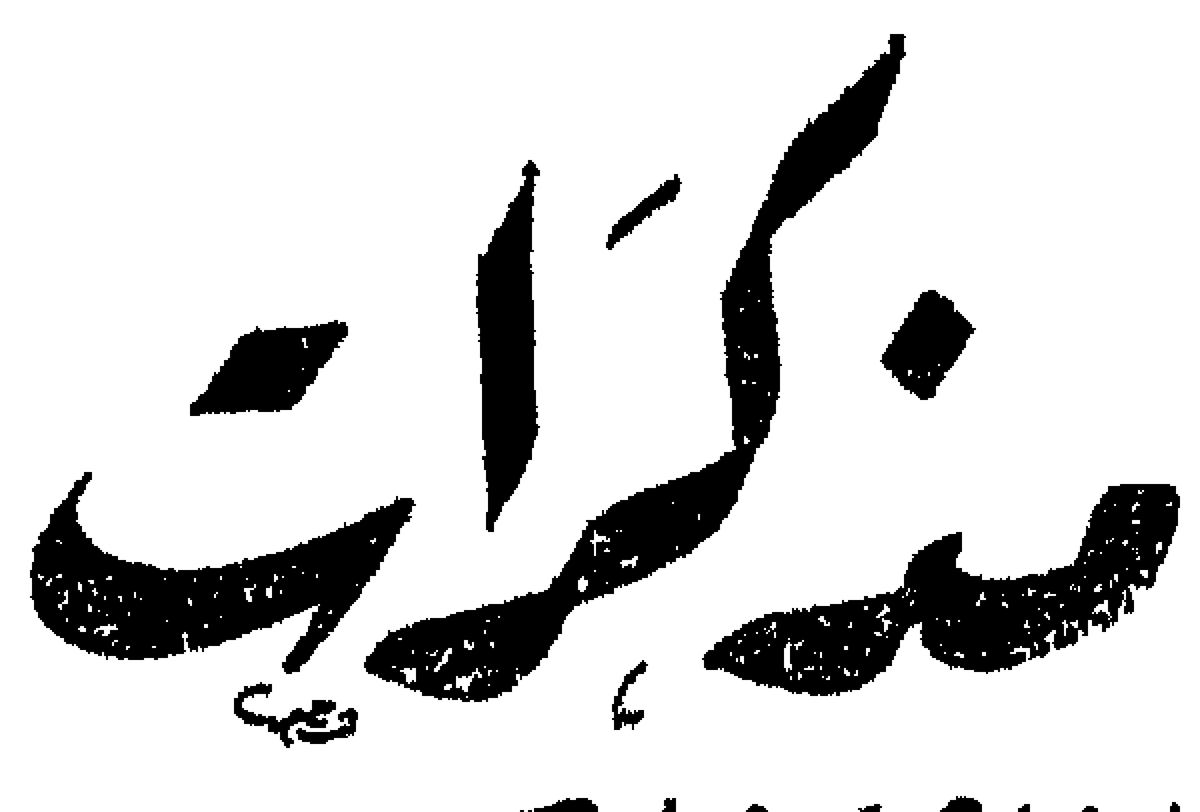



# الغازي مصطفى كمال باشا

وهي المذكرات التي أملاها الغازي على الصحف التركية أخيراً
ومعها نص الوثائق التاريخية الخاصة بأواخر أيام الحرب


تعريب

عبد العزيز أمين



طبعت بنفقة

مكتبة الخانجي

لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي

بشارع عبد العزيز بمصر

صندوق البوستة نمرة ١٩٢٥

١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦ م







مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
لصاحبها عمر افندي

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلنت الصحف التركية منذ شهرين بأن الغازى مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية عزم على نشر مذكراته بطريق الاملاء وايداع الوثائق التى لديه للصحيفتين التركيين ( حاكميت ملية ) ( ومايت ) اللتين تصدران فى أنقرة والاستانة ليبين لأمته غوامض ماخفى عنهم من أسرار السياسة التركية أثناء الحرب العالمية الكبرى ، وليشهد العالم على مقدار الجهود العظيمة التى بذلها هو وأعوانه خلال الحركة الوطنية التى قاموا بها فى الاناضول ، عقب التوقيع على معاهدة ( موندروس ) التى أعقبتها معاهدة ( سيفر ) الشهيرة وهى التى كادت تودى بتركيا .

وما كادت الصحف التركية تبدأ فى نشرها حتى ارتجت لها الأندية السياسية فى كافة أنحاء العالم ، وتسابقت الى ترجمتها جميع الصحف المعتبرة .

وقد كان من حظ مصر أن بدأت صحيفتا « الاتحاد » و « المقطم » فى تعريب ماينشر فى الصحف التركية أولا فأولا ، الا انه بعد نهاية نشر القسم الاول فكر دولة الغازى فى أن ينشرها مع الاقسام الباقية على حدة فى كتاب واحد وخص بهذا العمل « جمعية الطيران التركية » لتنتفع بأرباحه

فهذا القسم الذى ننشره اليوم بين يدى القراء هو القسم الخاص بمذكرات الغازي عن سياسة تركيا منذ دخولها الحرب الكبرى الى أوائل

الحركة الوطنية ، ويؤخذ من أقوال الصحف التركية ان الباقي هو ثلاثة أقسام أخرى

فالقسم الثاني يبحث عن مساعيه وجهوده الشخصية التي بذلها في الاستانة أيام احتلال الحلفاء لها تمهيداً لتنظيم الحركة الوطنية في الاناضول. أي من أول الاحتلال الى حين وصوله الى صامسون :

والقسم الثالث عن أعماله ومساعيه من عهد وصوله الى صامسون حتى عقد مؤتمر أرضروم ، وكان حينذاك مفتشا لجيوش الاناضول

والقسم الرابع ، عن الحوادث التي جرت في الاناضول بعد استعفائه من السلك العسكري وانتخابه رئيسا للمجلس الوطني الكبير الى يومنا هذا

ولما كانت هذه المذكرات تحتوي على حقائق تاريخية هامة ، أردنا أن ننشر ما وصل الينا منها الآن دون انتظار بقية الاقسام وذلك نزولا عند رغبة الكثيرين من أفاضل القراء الذين طالبوا بالحاح تعريب ما نشر منها في الصحف التركية .

بقي علينا بعد هذا التعريف عن الكتابة أن نقوم بواجب التعريف عن صاحبه . ولكن أنى لهذا القلم العاجز أن يرتفع الى هذه المرتبة العالية فيأتي بوصف رجل خالد من عظماء الوقت الحاضر ، لم تبق براعة لمشهور من مشاهير كتاب العصر لا وقد نالت بتسجيل وصفه ومزاياه ومناقبه، ومآثره ، وأعماله الخالدة !

فلا يصف العظيم الا العظيم ، ولذلك نقتبس نبذة مما كتبه الجنرال « تونسند » الانجليزي في كتاب بعث به الى جريدة التيمس ونشر في أواخر أغسطس سنة ١٩٢٢ . فقد وصفه بعد الديباجة بما يأتي : « عينان زرقاوان

ينفذان الى القلوب ، وشعر ذهبي وشارب قصير خفيف . تلك هي الملامح البارزة في وجه مصطفى كمال ، وهي ملامح أثرت في نفسي عند ماقابلته مواجهة منذ شهر مضى

مصطفى كمال متوسط الطول . وكان وقت مقابلتنا مرتديا ملابسه الملكية ويدل هندامه على حسن البزة ودقة الذوق . أما جوربه فكان من النوع الذي يلبس عادة في الالعاب

ومما رأيته خلال اقامتي أن الجيش يعظم كمالا ويوقره ، كما ان الشعب يحبه حبا يقرب من درجة العبادة ، ومن العبث ان يجد أصحاب نشر الدعوة في القول بوجود خلاف في صفوف الكماليين . أما في الاستانة نفسها فالمتشيعون له لايقلون عن تسعين في المائة ، وفي الاناضول يناصره الشعب عن بكرة أبيه . والأوامر التي يصدرها تطاع طاعة عمياء وحكمه حكم حديدي تحت قفاز من القطيفة وتسير تحت اشرافه حكومة تركيا الوطنية بهدوء ومقدرة . أما ارادته فقانون

« وهو لايتكلم الا اذا كان في موضوع حيوي يهمه ، وهناك ترى المحامي . فمثلا خضنا مرة في وقت العشاء في بحث معركة ( استرليتز ) التي خاض غمارها نابليون في سنة ١٨٠٥ وفي هذه المعركة يروي التاريخ مثالا من الامثلة النادرة التي هاجم فيها نابليون قلب العدو ، وكانت طريقته المعتادة أن يشغل عدوه بأقل عدد من الجنود بينما ينهال بالضربة القاصمة على أحد جناحيه . والحقيقة انني كنت عند تهيئ للعشاء لاأتوقع مطلقا الاشتراك في مناقشة في فن التعبية النابليونية أو خططه العليا . وقد اتفقنا على ان الخطة التي وضعها نابليون منذ قرن مضى لاتزال الخطة الحكيمة الى يومنا هذا

ثم تبين لى ان كمالا ممن يعجبون شديد الاعجاب بحملة نابليون فى ايطاليا عام ١٧٩٩. ولم أذكر كل ذلك الا لأبرهن على ان كمالا درس التاريخ الحربى درسا دقيقاً، وكان مثله فى ذلك مثل كل جندى تطمح نفسه الى الحرب . وهو كثير الاشتغال لا يعرف الملل وانك تراه دائما مكبا على عمله وله دراية عجيبة بسياسة أوربا وأحوالها . وهذا موضع العجب اذا لاحظنا ان تربيته كانت عسكرية محضة فى المدرسة الحربية بالاستانة . وقد أخذ نصيبه فى الحملة الطرابلسية ثم اشترك فى عدة من ميادين الحرب . ولكن خدمته الفذة كانت فى الدفاع عن غاليبولى . ومن أجل هذه الخدمة رفع الجنرال ليمان فون سندرس رتبته الى قائد جيش ، ثم اشترك بعد ذلك فى خط القتال المتشعب فى فلسطين حيث أصبحت الغلبة العددية فى خاتمة الحملة لاعداء الترك ، وقد كان كمال باشا مفتشا عاما للجيش العثمانى فى الاناضول بعد عقد الهدنة سنة ١٩١٨ ولكن تجلت وطنيته وصارت واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار بعد احتلال الحلفاء الاستانة ، واذ ذاك هرع الوطنيون الى سيوفهم »

هذا وصف لصاحب المذكرات عن لسان قائد من قواد الأمة التى كانت تحاربه وتعاديه أشد العداء فى عام ١٩٢٢ وقد مضت الى اليوم أربعة اعوام تمخضت فيها تركيا فى انقلابات اجتماعيه وتطورات فكريه أدهشت العالم الاروبى ، وقد تم جميعها على يد ذلكم الرجل الخالد . فحق علينا أن نأتى بوصف جديد له بعد ما ثره الجديدة التى قام بها فى ميدان السياسة بعد ميدان الحرب ، والى القراء نبذا مما كتبته اللادى ( دراموند هاى ) فى الديلى اكسبريس أخيرا ونشر فى صحيفة السياسه الغراء منذ أيام :

« ان الاصلاح لن يكون بعد ، صدمة فى تركيا ، فقد اعتادته البلاد .
واذا ما لاحت امارات الخطورة او التفكر على محيا مصطفى كمال سرى الهمس
بان الغازى يفكر فى مفاجأة جديدة للشعب ، وتساءل الناس فقط عما اذا
لم يكن الاعدام عقوبة المخالف . ان العالم على وجه العموم لا يستطيع ان
يقدر ما أداه الغازى ، أو هول العقبات والصعاب التى اعترضته فذللها فى
سبيل سحق صروح من تقاليد القرون بعد أن حرر تركيا من النير الاجنبى
فهو قد راى أمامه بادىء بدء شعبا متباينا يرزح تحت اعباء التحامل والعادات
القديمة . على انه استطاع ان يسهل مهمته حقا بابعاد من هرعوا الى البلاد
من المهاجرين والنازحين الى ارض آبائه ، ثم أعان « ان تركيا للاتراك »

وقد رأى ان السلطنة نظام عتيق فقاد الخوارج على سيده السلطان
الذى لم يرفيه سوى آلة فى يد الخلفاء . وبذا هدم ملكية قديمة ترجع الى
الف عام . ولم يكن اكثر رأفة بالخلافة . فلما خاص مصطفى كمال تركيا
مما كان يعتبره شخص التحامل والتعصب ، أخذ فى مهمة اشق وأبعد مدى ،
فألغى دين الدولة بيد أنه لم يحاول قط ارغام الامة على ان تترك الاسلام فما
زال مشايخ الدين يذهبون فى ثيابهم المتماوجة الى عمائهم المقدس فى سلام
وأمن ، وكل ماعمله الغازى بطفرة واحدة هو أنه قصر الدين على حياة
الفرد الخاصة بدلا من أن يترك نفوذه المحتوم يتسرب الى سياسة حكومة
مدنية ، ومن ذلك نرى ان مصطفى كمال لم يقر وأو يشجع حالة من الالحاد
وذلك خلافا للرأى السائد ، على أن ما يكون هنالك من بوادر الالحاد انما
يتسرب من موسكو بلا ريب ، ويذيعه دعاة الشيوعية الذين يوجد اكثر
من واحد منهم فى أعظم الدوائر الرسمية .

وقد صار التعليم الابتدائي اجباريا وتقدم الدولة كل تسهيل لترغيب تركيا الفتاة في الجنوح الى سبل العلم والتقدم . كذلك أضحى تحرير المرأة التركية كاملا مذ طبق القانون السويسري المدني في شئون الزواج والطلاق أعني على قاعدة المساواة المعقولة ، ثم رفع الحجاب وكلما يترتب عليه . هذه عدا التغييرات السياسية الهامة التي أدخلت باشراف مصطفى كمال ، هي خلاصة الاصلاحات الداخلية التي تهز تركيا القديمة الى أعماقها . وليس الغازي بالرجل الذي يضع القانون ثم يجلس وينظر حتى يفعل القانون فعله فان مناهجه سريعة مؤكدة . والغازي مثل موسوليني يهتم بدقائق الامور ويعني بكل ما يحدث في حياة الشعب ، وقد يحمل الزمن تغييرات كثيرة لعلها مدهشة أيضا ، بيد أنه لا يمكن أن يستعيد الماضي الذاهب . وقد يكون لمصطفى كمال اخطاء كثيرة . وقد يكون له نصيبه من الضعف البشري ، على أن الرجل يجب أن يقضى عليه بعمله ، وعمل كمال صفحة خالدة في سجلات الانسانية »

*
* *

وسيرى القارىء بعد أن يتم مطالعة هذا القسم من مذكرات الغازي ، صفحة بارزة من نفسيته ، تغنيه عن كل وصف أو تعريف ، وسيستفيد منها فائدة جليلة ، لانها درس تحليلي لروح التاريخ التركي أثناء الحرب العالمية الكبرى ، ولقد حاول الغازي في هذا القسم أن يحدد مسئولية الحرب بالنسبة لحكومته ، وبالنسبة لرجال حزب الاتحاد والترقي الذي كان مهيمنا على سياسة البلاد حينذاك .

ولقد توخينا بقدر الامكان ان يكون التعريب متمشيا مع روح

الاسلوب فى الاصل التركى ، محافظين على تعبيرات الغازى لتكون الفائدة أتم ، والغاية التى ننشدها من وراء تعريب هذه المذكرات هى خدمة ابناء وطننا أولا والعمل على تقوية روابط الالفة والمودة بين الامتين الشقيقتين والله المستعان على تحقيق الغايات ؟

تحريراً فى ٩ يوليه سنة ١٩٢٤ — عبد العزيز أمين الخانجى



« من مميزات الغازى الكبير، التى خص بها دون رجال الدولة التركية، اعتياده منذ أيام الصبا ، على تدوين الحوادث التى اصطدم بها من شئون البلاد ، على شكل مذكرات من حين لآخر ، وحرصه على الاحتفاظ بالوثائق التى تثبت وجهة نظره وأطواره الخاصة ازاء تلك الحوادث

« ومع أن هذه المذكرات كنز لا يقوم بثمن ، فانها أبعد ما تكون عن ترجمة حال تامة لحياته ، التى ليس فيها ساعة خالية من الهيجان ، لحياته الثائرة التى لم تهدأ فى فترة ما . ولو لم تكن للغازى حافظة قوية الى حد مدهش ، لظلت حقائق جمة تحت أطباق النسيان ، ولبقيت أركان شتى من تاريخ تركيا الحديث محاطة بسجف الابهام والغموض .

« حافظة الغازى، مثل معجزات كثيرة ميزت بها شخصيته المدهشة، توقع المتصلين به فى وهدة حيرة ليس وراءها حيرة . ففى حافظته القوية لا تلمس الحوادث والوقائع الخاصة به والمتصلة بشخصه فحسب ، بل تجد الخواطر المتعلقة بأشخاص قد صادفهم مرة واحدة فى حياته ، بشكل بارز حى . وجذوة من جذوات التنبيه ، تلهب نيران الماضى البعيد ، فتبعثه من مرقده ، على أحسن ما يكون ذلك الماضى من نضارة وحياة .

نشير هنا الى حظوة ينالها التاريخ التركى الحديث، ويفوز بها أولئك الذين أسعدهم حسن الطالع بأن يعيشوا فى عصر مصطفى كمال : هذه الحظوة هى أن الغازى يلذ له كثيراً التحدث مع أصدقائه ،وشرح خواطره عن الماضى ، الماضى الذى يكون لامس أهم حوادثه ووقائعه بنفسه . وكما

نراه على كرسى الخطابة فى أيام الانقلاب ، خطيباً مفوهاً يسخر الجماهير لارادته ، ويجمع ماتشتت من الآمال والرغبات بقوة تدليله وبسحر بيانه كذلك نراه فى صالونه الخاص محدثاً ساحراً Bon causeur يخلب ألباب ضيوفه بمحادثاته الشهية . وقد يطول أمد الحديث فى بعض الليالى عندما يسترسل فى سرد خواطره العذبة ،حتى ليهم سامعوه فى شىء من الجزع ، خشية أن يأخذه التعب الى طرد سهام الفجر التى تتخلل ستائر النوافذ . انها لحياة حافلة ، مليئة ، كل ذكرى من ذكرياتها ، حادثة قائمة بنفسها ، وثيقة هامة . فصل من فصول التاريخ التركى القريب والبعيد .

« وبعد ذلك كله فهى حياة متجانسة : فطموحه الى الثورة ، وغايته وعقيدته فى الانقلاب ، نرى بذور ذلك ، فى محا كماته ووجهات نظره وفكرته التى نشأت معه منذ أن كان طالباً فى المدرسة ، ففى الملفات التى يحفظها دفتر صغير،اصفرت أوراقه بمرور الزمن هذا الدفتر خاص بسوريا التى نفى اليها عند ماتخرج ضابطاً من الحربية · ففى هذا الدفتر الصغير أول نقد خطه بقلمه وأول عصيان شعر به ضد طريقة الحكم والادارة التى هدم أساسها بارادته وسعيه· ومنذ ذلك اليوم الى يومنا هذا نرى حياته تسير على وجهة واحدة واستقامة معينة . فالغاية التى لم يتردد لحظة واحدة من تضحية كل شىء فى سبيلها ،تكونت فى قلبه أولا على شكل خلجة من خلجات النفس ، ثم على شكل مذكرات فى ذلك الدفتر الصغير ، ثم فى ثوب بيئة صادقة لشخصيته النافذة ، ثم فى صوره أساس دولة حديثة توقع العالم فى الحيرة والدهشة . فالفكره التى قامت فى نفسه صهرتها نيران التجارب فى بودقة الحوادث المختلفة والغاية الى طمح اليها لم تتجل فى ثوبها

الاخير، ثوب الاقرار والتنفيذ الا بعد أن مرت في تحليلات شتى وتدقيقات جمة . وما اتصف به من صبر متين واعتدال رصين ، كان خير معين لارادته التي لا تقهر، في حياته الثورية . استعرض الحوادث الجائبة الذاهبة من ارتفاع غايته ، وحفظ نفسه من التأثر بالتحولات اليومية الفانية، باسطاً أجنحته الشبيهة بأجنحة النسور ، منتظراً بسكون وهدوء الوقت الذي يسود فيه على ذلك الهرج والمرج ، ليخلق نظامه السياسي والاجتماعي الجديد

ان الذين يحلمون بأفكارهم الى مافوق عصورهم ، فيشعرون بما لا يشعر به معاصروهم ويعملون مايعجز عنه العائشون معهم ، يطلق عليهم عنوان الدهاة والعبقريين أليس هذا هو حكم التاريخ على مصطفى كمال منذ اليوم ؟

« ليس لنا أن ندعي أننا نريد تعريف هذا الداهي بمقدمتنا ولا أن ننقل حياته في المذكرات والوثائق التي ستعقب مقدمتنا، من مثل هذا السعي يتوقف على مجهود يستغرق عامين على الاقل . وانما عندما تفضل غازينا الكبير بالتحدث معنا عن قسم صغير من حياته ، عن الوثائق والوقائع الخاصة بحركات الاناضول الاولى خطر ببالنا أن نلمس من جوانب حديثه، الوقائع السابقة قليلا لتلك الحوادث لتكون مدخلا للمذكرات والوثائق التي ننشرها .

ان الذين سمعوا باسم مصطفى كمال بمناسبة وقائع ( آنا فارطه ) وحوادث الأناضول ، أصبحوا في شغف للوقوف على دوره على مسرح التاريخ التركي ماقبل الدستور وبعد الدستور ، لاسيما خلال الحرب العامة. وقد رأينا أنه من الفائدة وتمام العمل ايضاح وشرح العوامل التي ساقت الغازي الى انقلابه الكبير ، من طريق نلمس الحوادث الماضية لمساً خفيفاً

والصفحات التي يقرؤها اليوم قراؤنا هي نتيجة تدوين أحاديث تفضل بها علينا الغازي في بضع ليال اجابة لملتمسنا

المدخل

ولما كنا نعلم يقينا أن الحرب العامة، صفحة خطيرة سواء أ كان في تاريخ السلطنة العثمانية أم من وجهة الأسباب والنتائج التي ولدت التاريخ التركي الحديث، أردنا أن نلمس أولا هذه المسألة . ولا يجهل انسان أن الغازي، الذي كان ملحقاً عسكرياً في صوفيا عند بدء اشتعال نار الحرب العمومية كان يخالف فكرة اشتراكنا في تلك الحرب الضروس، كما لا يخفى على أحد أننا مدينين له خوضه غمار الحرب، ومدينين له بأعظم فخر وحيد فزنا به أثناء تلك الحرب . وقد أجابنا الغازي على سؤالنا الأول بذكرى خاصة بالأيام الأولى للحرب فقال :

— ١ —

« لم أكن على ثقة من أن الحرب العامة ستعود بنتائج حسنة على حلفائنا ولكنني، عند ما أصبحنا أمام الأمر الواقع، سعيت في الجهات التي كنت بها الى السير بالحرب في طريق الظفر والفوز أما في الميادين الأخري فقد كان الأمر على نقيض. اذ كان وكيل القائد العام يتسبب في محاورطة في كل حركة يقوم بها، كما حدث في معركة (صاري قاميش) . . بل أنه هو ورفقاءه كانوا قد زجوا بالأمة التركية وجيشها في مأزق غير طبيعي . وهذه الحالة الغير الطبيعية هي القاء أزمة الجيش الى هيئة عسكرية أجنبية . لا أريد أن أنتقد من هذه الوجهة الألمانيين والهيئة العسكرية الألمانية وانما الجديرون بالنقد ـ هم بطبيعة الحال ـ رئيس حكومتنا ورجال الدولة. لأنهم هم

الذين ذهبوا بأنفسهم الى تلك الهيأة يدعونها فى شىء كثير من الرجاء والاستعطاف بالقدوم الى بلادنا ، بفكرة أن الجيش التركى عاجز ، ليس على شىء من الأهلية والاستعداد . لقد تحدثوا الى تلك الهيئة بصراحة عن ضعف الأمة التركية وعجزها وطلبوا منها أن تشخص الينا لتهذيبنا وترقيتنا وليس لنا الا أن نلتمس العذر لمثل هذه الهيأة التى تأتى بناء على دعوة منا، اذا هى اعتقدت العجز والمهانة فى البيئة التى اندمجت بها ، وفى الرجال المسيطرين على هذه البيئة .

« ولشد ما كنت متأثراً من تسليم الجيش وجميع أسراره الى الهيأة العسكرية الألمانية بلا قيد ولا شرط . وعند ماوقفت على هذا الحادث بطريق الصدفة قبل اتخاذ قرار ما بشأنه ، رأيت من واجبى رفع صوت الاعتراض الى المقامات التى يستطيع صوتى أن يصل اليها ولكنى لم أجد من يهتم باعتراضى أو يعيره أدنى التفات ، اللهم الا صديق لى كان يشغل وقتئذ منصباً من أكبر المناصب، فى عموم أركان الحربية ، قال لى وقد تجاذبنا أطراف هذا الموضوع، وهو يتكلف أن يظهر أمامى بمظهر المتودد المشفق:

— إننا أكثر منك تجربة أيها الاخ ، لا أنكر أن ما يدفعك الى الخيالات والاحساس هو عشقك لوطنك وغرامك بمصلحة أمتك. ولكن أتظن أن هذه البلاد وهذا الشعب يستحقان منك هذه المحبة الحارة ؟ على رأسنا رجال عظماء لم تتحدث معهم بعد ولم توجه نظرك والتفاتك الى نظراتهم المليئة بالتجارب . ولذلك لم تتفهم بعد أسرار موفقياتهم فى كل أطراف المملكة. ولو تعرفت بهم مرة واحدة فانك تجرى شوطاً أبعد منا فى قبول نفس الفكرة »

أدركت تماما من هم الاشخاص الذى يعنيهم بقوله ولكننى لم أشأ أن أتأكد منهم وانما اكتفيت بالقول فى أنهم وقعوا فى مهاوى خطأ جسيم وكان محدثى — وقد توفى فى الحرب العامة — يقول بهيجان ناشىء عن تصور أنه عامل من أكبر العمال فى سبيل غاية سامية :

— دعنا فى هدوء يا كمال : والا أصبحت مسئولا أمام ضميرك ، اننا سنأتى من الأعمال مايطيب له خاطرك ويدهش العالم.

كثير من الناس كان يهتم بأقوال محدثى هذا، الذى يخاب عقول القوم بألفاظه السحرية عند الحديث ، وبعباراته الطلية التى كانت تدبجها يراعته فى صحيفة « طنين » بتوقيع مستعار . أما أنا فلم تؤثر فى هذه الاقوال التى تفيض بمعانى الوطنية والاخلاص والخيال السامى . غير أنى كنت أعتقد أنى مهما أقول فلا تلقى أقوالى أذنا صاغية ونفساً واعية، ففضلت السكوت والتفكير ومع ذلك لم أستطع أن أمنع نفسى من اضافة جملة صغيرة على الحوار القصير الدائر بيننا فقلت :

— أجل ستحدثون أموراً كثيرة غير أنى أخشى أن تكون تلك الامور سببا فى ايقاع البلاد فى ورطة لاخلاص منها ولو أنى أنا ومن يفكرون مثلى ، يدركون ذلك اليوم ، فسوف لا نذكر أقوالكم التى تتحدثون بها الآن بتقدير . وأرجو ألا تتركونا وسط مشاكل لاقبل لنا بالخلاص منها .

فقال لى محدثى متجاهلا ما فى أقوالى من صدق اللهجة والجد :

— لاتخش بأساً يا أخى

— ٢ —

« وكان هذا الشخص معروفاً بين رفقائه بأنه أذلقهم لساناً وأقواهم حجة وأحدهم ذكاء . ولم يفتني التحدث مع الآخرين أيضاً في نفس الموضوع . إلا أن هؤلاء كانوا يتجنبون اطالة الحديث ويتهربون من الاجابة على النقط الأساسية وكان تمّ أحدهم أن يظهر بمظهر كابر من أكابر الدولة المتشبعين بروح الانقلاب ، معتمداً بالأخص على مهارته في أفانين السياسة مفضلا طريقة (التهرب) المعروفة اذ ذاك أثناء حديثه . وقد كانوا يعتقدون أنهم بهذه الطريقة يصلون الى غاية الاقناع ، دون أن يشعروا أني كنت أنصت الى أقوالهم باشفاق عميق

« ما أنكد حظك يا طلعت باشا ! . . عند ما نمى الى أنه قتل في أزقة برلين برصاصة شقي من أشقياء الأرمن تأثرت أيما تأثر . فقد زرته ذات يوم من أيام تربعه في منصب الصدارة العظمى في ديوان صدارته ، وتجاذبت معه أطراف الحديث في مسألة حيوية وكان على اعتقاد بأنه تمكن بأجوبته من اقناعي بطريقة التهرب السياسي ، التي كان يستعملها بل أنه أظهر اغتباطه لهذه الحادثة عند ما تقابل مع أحد أصدقائي المتصلين بي وذلك بعد ساعة واحدة من مقابلتنا . غير أنه لم يمض على هذه الحادثة يومان حتى وقع في مشكلة سدت عليه منافذ التدبير ، فاستدعاني الى منزله نصف الليل ملتمساً أن أمده بالرأي والنصح . وقد كان صديقي المعروف الذي نقل الى اغتباط الصدر الأعظم حاضراً في مجلسه تلك الليلة فاكتفيت اذ ذاك بهذه المباسطة :

— انكم تسألونني الآن ابداء رأيي وأرجو المعذرة ان أنا أحجمت عن ذلك لأني سبق أن عرضت عليكم رأيي الخاص في مسألة حيوية منذ

ثلاثة أيام فقط فهربتم سياسياً وظننتم أنكم تمكنتم بهذه الطريقة من اقناعي وقد أظهرتم سروركم وقتئذ من هذه النتيجة التي وصلتم اليها

فقال لي :

— لم يحصل ذلك . فأجبت :

— الشخص الذي أفضتم اليه بمكنون قلبكم جالس الآن بجانبكم

وقد علق المحرر على هذا الحديث بقوله :

( ان المقابلات التي أجراها الغازي سواء في الميدان أم في غير الميادين لم تنزع من فكره العقيدة الراسخة بالعواقب السيئة التي تنتظر البلاد بل أن تلك المحادثات والمقابلات قوت عقيدته . ولكن ألا سبيل الى الايقاظ والارشاد ؟ ألا يوجد انسان يفتح أذنيه لقول الحق ؟ ألا يوجد انسان يحرك كامن الشعور في النفوس ازاء هذه المسألة الحيوية التي يتوقف عليها موت الأمة أو حياتها ؟ لم يتأخر الغازي لحظة واحدة عن السعي في تجارب الايقاظ والارشاد في نفوس اصدقائه ، اصحاب الكلمة والنفوذ في عالم السياسة وشئون الدولة واذا أردنا أن نعلم مقدار الاثر الذي أحدثته تلك المساعي فلنقرأ له هذه الذكرى :)

قال الغازي :

« اذكر هنا بهذه المناسبة ، رجلا آخر من رجال الحكومة العثمانية ، لشرح الحالة الروحية التي كانت تسود ذلك العهد . لقد كنت قائداً قمت بنصيبي من العمل في ( آري بورنى ) و ( آنا فارطه ) وأظن أنني استطعت أن أخدم بلادي وأن أنقذ العاصمة بتلك المعارك وقد أيد هذا الظن

ما كنت أسمعه بعد ذلك من أفواه الناس ، سواء أكانوا من الأصدقاء أو الأعداء . وقد أخذت بعد ذلك أزور أعظم رجال الحكومة العثمانية ممن كنت أعتقد فيهم الاغتباط بخدمتي هذه الحقيرة وما أنا سوى بشر ، تدفعني مثل هذه الحالات الى هذه الزيارات وكنت أقوم بهذه الزيارات من جهة أخرى مدفوعا بعامل أقوى ، عامل واجب خطير . اذ كنت أحمل في سويداء القلب آمالا شتى وأفكاراً متنوعة في مصلحة بلادي ، كنت أشعر بنقائص جمة في مظاهر كثيرة من وجهة العلوم والفنون والصناعات . فأردت أن أفضي بما يجول في النفس الى الرجال المهيمنين على موارد البلاد ومصادرها . من أجل هذا ظننت أن زيارة ناظر الخارجية المحترم لاتخلو من فائدة وكان في نظارة الخارجية معاون للمستشار يدعى (خايل بك) كنت أعرفه من سفارة صوفيا فقابلت أولا مع هذا الرجل الطيب القلب ورجوته أن يبلغ حضرة الناظر أني حضرت لزيارته وقد جاء الأمر بالانتظار فكنت أنتظر ولا أدري كم لبثت منتظراً وانما أظن أن الانتظار قد طال مدة غير قصيرة اذ كان الناظر المحترم مشغولا أثناء ذلك باستقبال زائريه من ذوي الشأن وقد لاحظت أن الناظر يستقبل أيضا من حضروا بعدي فتأثرت من ذلك بطبيعة الحال وقلت لمعاون المستشار :

— الظاهر أن حضرة البك قد نسيني :

فعاد المعاون يخطر الناظر بأني في الانتظار فجاء الأمر بالانتظار أيضا فجلست بهدوء تام بجانب المعاون وقلت له :

— هل يقضى ناظركم كل وقته فى قبول أمثال هذه الزيارات الخالية من المعنى ؟

وقد كان محدثى وديعاً رزينا فلم يجبنى على هذا السؤال وفى هـذه الفترة فتح الباب الذى يصل مكتب الناظر بالردهة وخرج حاجب يقول

— تفضل ياسيدى

وكنت أتحادث مع المعاون فى موضوع جدى فقلت :

— ماذا تبغى ؟ فأجاب :

ان حضرة الناظر سيتفضل باستقبالكم . . .

فقلت :

— لينتظر

وفى الحقيقة لم أجب دعوة الناظر حتى انتهاء حديثى الذى أطلته مع معاون المستشار .

عنـد مادخلت مكتب الناظر استقبلنى واقفاً وعلى محياه أمارات البشاشة . وحدثنى بلسان ذرب وبروح مطمئنة ، عن حسن الموقف العسكرى والحالة الداخلية وعن رضاه عن الحالة السياسية العامة . فشكرته متلطفاً وسألته فيما اذا كنت أستطيع ابداء بعض ملاحظات وآراء . فقال

— لك ماتريد ياسيدى . فقلت :

— أنا لا أرى الموقف كما ترونه وكنت أتمنى كثيراً لو أن حالتنا العامة على ماتصفون . لأنى عائد من ميدان الحرب ومن قيادة الجيش فى أشق موقف من مواقف الحرب ، فلو تفضلتم لحظة بالانصات الى ما أقول أصبح ممتنا لكم

-- أرجوك ياسيدى أن تستمر

- ياسيدى البك ان الموقف ليس على شيء من الحسن كما ترونه أنتم وأنكم من الاشخاص المسئولين فى ادارة الدولة فلو واصلتم فى سياستكم طريقة الاعتماد على أقوال هذا أو ذاك لتضاعف الخطر العام الى حد يفوق التصور .

فقال لى :

- ياسيدى البك ( وعند ماتلفظ بهذا النداء تجهم وجهه تجهم الرئيس الآمر ) لم أفهم ماتريدون أن تقولوه

فأجبته بلسان المتواضع :

- البلاد وكل شيء على وشك الزوال وقد قلتم أنكم لم تلاحظوا شيئاً من ذلك . استغفر الله لا أقول ذلك بل أقول أنكم مطلعون على كل شيء وانما تعتبرونى فضوليا غير متدرب على الأمور فتجتنبون الخوض معى فى الحقيقة بصراحة . وهذه خطة حميدة يجدر بكل ناظر مقتدر أن يسلكها ولكننى من الرجال الذين يمكن الخوض معهم فى كل حديث واسمحوا لى أن أوضح لكم أمراً آخر على أن يبقى مايدور بيننا فى طى الكتمان وهو ألا تخشوا من المجاهرة بالحقيقة فان الحقيقة ، فيما أقوله أنا لا فيما تقولونه أنتم

فاحتد الناظر وأجابنى بلهجة جافة :

- ياحضرة القائد اننا قد احترمناك لأنهم قالوا لنا أن مصطفى كمال قائد معركتى ( آرى برونى )و( أنا فرطه )أبلى بلاء حسناً ولذلك أردت أن أقابل حضرتكم قبولا حسناً، الا أننى بدأت أشعر بعد ماحدثتنى به اليوم

شعوراً آخر . ياسيدى البك ليس لمثلى توجه هذا الكلام وهذا النقد أنا ناظر أحمل بين جنبى ثقة عميقة لاتتزعزع للقائد العام ولأركان حربه وجميع الوكلاء يشاركونى هذه الثقة . قد تكون شبهات تختلج فى نفسك وقد تكون هنالك حقائق لم تصل الى علمك، وانى لا أستطيع أن أشرح لكم هذه المسائل. واذا كنتم حضرتم هنا لرفع مايساوركم من الشبهات فانى مضطر الى اخطاركم بأنكم قصدتم غير الباب الواجب أن تقصدوه . عليكم بمراجعة القيادة العامة وأركان حربها ولا ريب فى أنكم تجدون هنالك من الأشخاص من يستطيع أن يوضح لكم بقدر الامكان ماتعذر عليكم فهمه

قال الغازى مجيباً ناظر الخارجية :

— أقدم لكم شكرى لتفضلكم بارشادى للطريق وانما أعرض عليكم مستأذناً انى شخص غير غريب عن الجيش التركى بل أنا جندى تربطنى معه روابط متينة مذ تعيينى ضابطاً صغيرا . انى عامل من عمال الجيش المتدرجين من رتبة ضابط حتى رتبة قائد بالعمل والاهلية على ماأعتقد وقليل من الناس من يعلم الجيش التركى ومزاياه ومقدار كفايته مثلى . وانى لا أكتم تأثرى من ذهابكم الى حد الظن بأنى ضابط غير كفء وقائد وصل الى رتبته القيادة صدفة لا استحقاقاً . ومع ذلك فانا ألتمس لكم العذر لأنكم فى جميع حياتكم حتى فى موقفكم السياسى الخطير الآن، لم تصطدموا بعد بالحقيقة. تطلبون منى أمراً لاأستطيع القيام به بتاتاً وهو الرجوع الى وكيل القائد العام وأركان حربه لازالة مايساورنى من القلق والتردد . هل لاحظتم ياسيدى البك أنه لم تبق فى هذه البلاد هيأة أركان حرب وطنية . فمقاليد الأمور العسكرية فى يد هيأة المانية ، تلك الهيأة

التي كان من جرائها تقرير طرد جندي ثائر مثلي . أتطلبون مني الرجوع الى هذه الهيأة ؟ ...

قال الغازي :

« وقد سمعت بعد أيام أن حضرة الناظر قدم شكواه ضدي الى مجلس النظار وطلب مجازاتي ، فضحكت من ذلك بملء شدقي . أجل ان الاعتقاد السائد حينئذ أن أي انسان كمصطفى كمال قد يستهدف بسهولة لعقاب تلك الهيأة التي اعتزت كثيراً بنفسها وذهبت تدير ظهرها الى السلطان رئيس السلالة المتداعية الى السقوط ظاهراً أو باطناً . أما أنا فقد كنت على ثقة من أن هؤلاء الرجال الذين لا يعرف لهم رأس ولا ذنب ، والذين يتأله بعضهم بدعوى العبقرية وبعضهم يتيه بدعوى العلم ، وبعضهم يختال بدعوى الديكتاتورية ، لايستطيعون أن يصلوا الى مصطفى كمال الحقير بأي أذى . انهم كانوا يستطيعون أمراً واحداً وهو القاء القبض على مصطفى كمال وشنقه استنادا على ما بيدهم من قوة وسلطان غير أني كنت اعد من النعم أن تسمع الأمة في ذلك اليوم نبأ عصياني . انهم لم يجرأوا على اتيان هذا العمل فلماذا ؟ أظن لأنهم لم يكونوا على ثقة من نجاحهم . بل ماكان أشد قلقهم واضطرابهم عند ماأراد واشنق (يعقوب جميل) ذلك الذي لم يرتكب من الأثم سوى السعي في سبيل تحقيق أغراض له غير ملائمة .

وهنا علق المحرر على هذه الذكرى بقوله :

( ان اسم يعقوب جميل هذا سيترك أثراً محاطا بالأسرار في نفس قرائنا ، حيث لايخفى أنه قد قبض على شخص بهذا الاسم ينتمي الى جمعية فدائية وحوكم أمام مجلس عسكري أثناء الحرب ، وكان هذا الحادث قد

أثار فى النفوس مكامن القلق والفضول. ولكن أين وجه الحقيقة فى هذا الحادث ؟ ها نحن اليوم نبينها من خلال حديث الغازى الذى استمر يقول)

— « لا أريد أن أبحث عن شخصية يعقوب جميل انما كانت قد تولدت فى نفس هذا الرجل عاطفة شديدة نحو مصطفى كمال . لقد حكم هذا التعس مسوقا بتجاربه الشخصية الصغيرة ، وبما رآه من أفعال وحركات أولئك الذين دفعوه الى أنواع شتى من الوقائع الدموية ، أن مصطفى كمال يجب أن يتقلد زمام العمل . وقد كان ذلك من بعض الأسباب التى أوصلت يعقوب جميل الى حبل المشنقة . فقد قال هذا الصبى فى حديث له ذات يوم الى بعض رفقائه الثورويين فى ( بروسه ):

— لقد ظهر أن الذين نحسبهم كباراً صغار جداً وتقضى سلامة الوطن أن يعدموا وسأفعل ذلك بنفسى

وقد سأله المتعدلون من رجال الانقلاب : ان القتل سهل ولكن من الذى يصلح الحال ؟ فذكر لهم اذ ذاك اسم مصطفى كمال : . .

ونرى هذا البائس بعد ذلك فى حالة لا يجد معها بأسا فى تطبيق ما دربه عليه أولئك الملومون عليهم أنفسهم ، فيحضر الى الآستانة ويسعى فى تنفيذ فكرته بتدابير ناقصة ، فيكاشف بعض من يثق بهم من اخوانه بنيته فيستفظعها هؤلاء ويوجسون خوفا من هول الفاجعة ويسرعون بالتبليغ والنتيجة القاء القبض عليه وشنقه

« وقد قص على هذه الحادثة شخص من مشربه وشركائه فى الرأى هو ( الدكتور حلمى بك ) نائب ( ملاطية ) والذى تمكن من النجاة بنفسه ومقابلتى فى معسكر ( سيلوان )

— ٣ —

« وصل الدكتور حلمى بك الى ( ديار بكر ) وأخبرنى ببرقية أن لديه معلومات هامة يريد أن يفضى بها الى فى معسكر (سيلوان)ورجا منى أن أستقدمه اليه فوصل الى ياورى الخاص (جواد بك)، وقد كان اذ ذاك فى ديار بكر، أمر باحضار الدكتور الى ، فحضر وقص على الحادثة بتمامها وقال

— ما كنت أستطيع البقاء فى الآستانة فلم أمكث بها لأنهم سيشنقونى أيضا .

« فنظرت الى الموقف نظرة عامة ، وفكرت فيما فى اعدام الناس من الضرر الجسيم ، وأردت أن أقوم باخطار فعلى لئلا يقعوا فى مثل ذلك . وقد نفذت هذا الانذار بطريقة غير مباشرة بأن أخطرت أكبر المقامات بأنى أحمى وسأحمى الدكتور اللاجىء الى حماى . غير أنى لا أجد هنا مناصاً من القول بأنى لم أستصوب ما أتاه يعقوب جميل حتى أنى قلت لأحد القواد المعينين فى فرقتى ، اذ ذاك أثناء حديثى معه عن فاجعة الآستانة

— لقد شنق يعقوب جميل . والسبب فى ذلك قوله أنه لا سبيل الى النجاة مالم تسند وزارة الحربية وكالة القيادة العامة لمصطفى كمال فلو فرضنا أن هذا الرجل فاز بأمنيته وسمعت أنا أن يعقوب جميل فى الآستانة شق عصا الطاعة لهذا الغرض ونجح فى مسعاه أتظن أنى أتنازل لقبول المنصب نعم انى لا أتردد فى قبول الحالة كما هى ولكن بشرط الذهاب الى الآستانة وتوقيع الجزاء على يعقوب جميل . لا أكون رجلا ان أنا وصلت الى موقع الرياسة بتوصية ذلك الرجل أو أمثاله »

قال المحرر : ( ولم يتسرب اليأس الى قلب الغازى بعد محاولاته التى قام بها بغية ايقاظ رجال الادارة القابضين على زمام الامور ، بل هناك عهد جديد أخذ الغازي يفكر فيه للقيام بمساع شخصية فى سبيل النجاة. ولهذا العهد علاقة متينة بتاريخ الثورة الاناضولية لأن الدروس التى تلقاها الغازى أثناء هذه التجارب السياسية، كان لها أثر فعال فى مؤتمر (سيواس) الذى مهد أساس الدولة الحديثة، وفى النتائج التى ولدها انعقاد المؤتمر . وهذه المساعى العملية الجديدة كانت سياسية وطنية تسير فى طريق تغيير طالع الامة التركية وابداله من النحوس الى السعود ، سياسة هى غير السياسة الحزبية التى قد تموت قبل الوصول الى غايتها وسط أمواج الأزمات والمشاكل اليومية . ولكن ماهى الاسباب التى أهابت بالغازى الى الأخذ بهذه السياسة والى السير فى سبيلها بقدم العزيمة والجد ؟ هانحن نسوق الى القارىء العزيز الاسباب والعوامل كما شرحها لنا الغازى أثناء سرد خواطره فقد قال من قبيل الاستطراد :

— « لم أفتأ أذكر ماستجره علينا الحرب من العواقب السيئة بعد دخولنا غمرات الحرب العامة . فقد ثارت ثائرتى ضد حملة القنال ، ورميت أولى الأمر بوابل من الانتقادات عندما عرضت على قيادة الجيوش المسافرة للحجاز : تلك الانتقادات التى لم تثمر رغم تمكنى من اقناعهم بوجوب اعتبارها . وأعقب هذا الانتقادات والتمردات حوادث أخرى جادلت فيها مجادلة عنيفة ويعلم الناس الحوادث التى تمت فى عهد قيادتى للفرقة المسماة ( ييلديرم ) الصاعقة

« وعلى ما أذكر ان أول تمرد قام فى نفسي، لم أستطع كبح جماحه

كان أثناء تلك الحوادث، اذ كنت أدركت انه قد مضى أوان السكوت والتواضع وكنت أرى المصائب تتوالى على تركيا متدفقة كالسيل الجارف فكيف أطيق صبراً وأحتمل السكوت بعد ذلك؟ وسوف أعطيكم الوثائق المتعلقة بهذه الحوادث وسوف تقرأونها ولكن ماهى النتيجة؟ النتيجة هى نكبتى! وانى قد استعملت هذا التعبير هنا بصفة خاصة لأنى لست من الرجال الذين يقبلون النكبة فى حياتهم وقد ضحكت فى هذا العهد من أولئك الذين اعتبروا انى فى نكبة اذ لو كنت انسانا عاديا يركبه الغرور أو كنت انسانا يغتبط باصابة أوهامه وظنونه، ما كنت لاقيم وزنا للحادث. لكن كيف أجيز لنفسى ان اغتبط بنكبة البلاد، كل ماكنت أحاوله هو تصحيح ماأخطأ فيه من سبقنى والعمل على انقاذ تركيا التى تدهورت فى الاوحال.»

قال المحرر: «واسترسل الغازى بعد ذلك فى التفكير وعاد الى اتمام الحادثة التى أشار اليها منذ هنيهة فقال:»

«عندما صرت قائداً للفرقة السابعة أى فرقة (يلديرم) للمرة الاولى، حيث لايخفى انى صرت قائداً لهذه الفرقة فى ظرفين مختلفين، كانت فرقتى داخلة فى الدائرة العسكرية التى يرأسها المارشال (فالكنهاين) وكانت الاصول والطرق التى يتبعها هذا القائد سببا فى اثارة مناقشات هامة بينى وبينه من الوجهة العسكرية، ومن وجهة سياستنا الداخلية وقد وصل صدى هذه المناقشات الى المقامات العالية. وعند مارأيت أن ملاحظاتى التى أبديها والتى أراها على جانب كبير من الخطورة لايُعبأ بها

ولا يقام لها وزن . لم أطق صبراً ولم أحتمل السكوت .

« فوضعت نصب عيني كل احتمال وعاقبة . وقدمت استقالتي من قيادة الفرقة بعد تعيين وكيلي (وقد كان علي رضا باشا وهو من القواد المعروفين) وكان هذا العمل لا يتمشى مع الاصول والقواعد المتبعة ، وفيه شيء من روح التمرد والعصيان . وعند ما أتممت ما اعتزمت عليه وأخطرت المقامات العالية بهذا الامر الواقع. أرسل الى الجنرال فلكنهاين خطابا خاصا ليثنيني عن عزيمتي وأرسل الى وكيل القائد العام وقائد الفرقة الرابعة ، وقد كان بعض المهتمين بهذه الحالة يتوسط بالتأثير على في الرجوع عن قصدي . غير أن هذه الحالة دلتني على أن الحقيقة اما أن تكون غير مفهومة من قبل أصحاب النفوذ واما أنهم يحاولون كتمانها بوسائل تبعث النفس على الحزن والأسى ولذلك لم تثمر مساعيهم بل ساقتني بالعكس الى اعلان تأثري بلهجة أشد وشكل أكثر وضوحا . وفي النهاية انصاعوا للأمر الواقع وقبلوا استقالتي ولكنهم أرادوا أن يخفوا عن الأمة السبب الحقيقي الذي دفعني الى الاستقالة . ورغبوا في أن يذيعوا بين الناس أن انسحابي من القيادة كان لسبب عادي فوجهوا الى قيادة الفرقة الثانية فلم أقبل ذلك أيضا ، متشبثا ببعض الاسباب الظاهرية . أما هم فقد أرادوا أن يظهروا الموقف الخطير الذي أردت اظهاره بكل ما في نفسي من جهد وقوة ، كأنه موقف عادي ، فأبلغوني أنهم منحوني أجازة مقدارها شهر .

وأريد هنا أن أذكر لكم مسألة تثير الاسى في نفسي بهذه المناسبة فاني عند ما سلكت سبيل الاستقالة وعولت على ترك وظيفتي ومنصبي

فى مدينة حلب، لم أكن لاعلم أنى لا أملك من النقود مايوازى أجرة السفر بالسكة الحديدية من حلب الى الاستانة

الذهب الالمانى

وأقول بهذه المناسبة أيضا انه فى الليلة التى كنت عازما فيها على التوجه من الاستانة الى حلب مقر وظيفتى . أى عند تعيينى قائداً للفرقة السابعة ، حضر ضابط ألمانى شاب يصحبه ضابط تركى فى معسكر فلكنهاين الى محل اقامتى رقم ٧٦ فى (العقارات) وأخبرانى أنهما أحضرا الى بعض أشياء من قبل فلكنهاين داخل صناديق صغيرة مزخرفة، فأمرتهما بوضع تلك الاشياء فى الغرفة التى قابلتهما بها وبعد مدة قصيرة وجدت صناديق صغيرة موضوعة بترتيب على مقربة من باب الصالة فسألت مندهشاً

ـ ماهذه الاشياء ؟

فأجابنى الضابط الالمانى :

ـ أرسل اليكم المارشال فالكنهاين مقداراً من الذهب بمناسبة سفركم

ولما كنت لم أتحدث الى أى انسان باحتياج من احتياجاتى ظننت ان المارشال قد أرسل هذه النقود اصرفها فى احتياجات الجيش ولذلك خاطبت الضابط التركي الذى كان يقوم بالترجمة بينى وبين الضابط الالمانى ، فقلت له :

ـ هذه الصناديق وردت الى خطأ اذ كان يجب ارسالها لرئيس المهمات فى الفرقة، وحفظها طرفى غير داخل فى اختصاصى

وعند ماترجم الضابط التركى أقوالى للضابط الالمانى أجاب :

ـ كلا ياسيدى مايخص الفرقة غير هذا المقدار .

فقلت لضابطنا :

ـ تأكد تماما من مقدار النقود وا كتب سنداً تذكر فيه أخذ هذه النقود أمامك واعطى السند للتوقيع عليه .

« فنفذ الضابط التركى ما أمرته به الا أن الالمانى لم يرض أن يقبل السند فقلت للضابط التركى

— ان هـذا الضابط يجهل ما يجب أن يعمل اخـذ السند وسلمه للمارشال وأنتم عليكم ابلاغ رئيس مهماتى فى الفرقة بالحضور لاستلام الصناديق

وقد سارت المسألة بطبيعة الحال فى هذا المجرى وظلت الصناديق ومحتوياتها فى عهدة رياسة المهمات وبقى السند الموقع عليه بامضائى محفوظا فى ملفات فلكنهاين السرية مدة أشهر

وعند ماأردت الاستقالة من الفرقة السابعة سلمت هذه الصناديق لوكيلى الذى عينته مكانى وهو على رضا باشا وأخذت منه ايصالاأودعته الى ياروى الخاصين، جوادعباس بك وصالح بك (وأولهما مبعوث بولى الآن وثانيهما مبعوث بوزاوق) وأعطيتهما الامر الآتى :

— اذهبا فى الحال الى معسكر فلكنهاين وقابلاه شخصيا واعطياه هذا الايصال يداً بيد . وخذا منه السند الموقع منى الموجود طرفه

وقد تقابل المذكوران مع المرشال بعـد عقبات ومصاعب ونفذا أوامرى بالحرف الواحد وعادا الى يقولان :

— لايتذكر سعادة المشير فلكنهاين أنه أعطاكم نقوداً من هذا القبيل ولا يعرف مطلقا أن لديه سنداً موقعا عليه بامضائكم بخصوص نقود. وعليه فهو لايقبل أيضا الايصال المقدم من على رضا باشا

فقلت للضابطين :

ـ اسمعا جيداً انى آمركما أن تذهبا ثانية الى حيث فالـكنهاين لتقولا له ان الذهب المرسل منكم محفوظ كما هو وقد أعطى لـكم ايصالا عند استلامه وادعاء عدم وجود الايصال لا ينفى وجود الذهب. قد يجوز أنكم فقدتم الوثيقة فنحن نعيد اليكم الذهب نظير سند منكم يفيد باسترداد المال . ثم تقولان له : كان عليكم أن تدركوا من مدة طويلة أن القائد الذى أوفدنا اليكم ليس من الاشخاص الذين يتسامحون فى مصالح البلاد مقابل الذهب : واذا كنتم فى شك من ذلك الى الآن فان قائدنا يستطيع أن يثبت لـكم وللرأى العام هذا الأمر بشكل آخر . ان نقودكم لم تزل على حالها وانما لا يمكن أن يبقى لديكم امضاء ( مصطفى كمال ) وهو أثمن وأعظم قدرا من هذه النقود. هذا ما يجب أن تقولاه ولا أريد أن أراكما قبل الحصول على نتيجة ايجابية .

ان رفيقى اللذين أصدرت اليهما أمرى كانا يجهلان فلـكنهاين الا أنهما كانا يعلمانى تمام العلم ولذلك عادا الى بعد ساعة يحملان الورقة التى تشتمل على امضائى

ويمكن أن يعلم الانسان من هذه الحادثة أن المرشال فلـكنهاين كان يسلك هذا السبيل سبيل اغوائى واغواء كثيرين غيرى بمثل هذه الصناديق الملأى ذهبا

— » أعود الى الموضوع الذى قطعت سلسلته فأقول لم أكن لأعلم أنى لا أملك أجرة السكة الحديدية للسفر من حلب الى الاستانة غير أنى كنت أملك بضعة خيول وأفراس من جياد الخيل فناديت صالحا وقلت له:

ــ بيعوا بعض هذه الخيول لتستطيع السفر الى الاستانة

وكنت أثناء ذلك ضيفاً عند عائلة فى حلب انتظاراً لنتيجة البيع غير أنه لم يجد مشتريا واحداً لأجود خيولى فدهشت لهذا الامر مع أنه لم يكن هناك ما يدعو الى الدهشة لان ضباطنا لم يكونوا فى سعة من المال أما أعيان حلب من غواة الخيول فانهم أحجموا عن الشراء لعلمهم أن الجيش قد يأخذ ما لديهم من الحيوانات بالنسبة لظروف الحرب

« ولذلك قطعنا الامل من خيولنا التى كانت ثروتنا الوحيدة

« الا أن الطريقة التى سلكناها والمقاومة التى أظهرناها ما كانت لتدل على أننا صفر اليدين الى هذا الحد . أتعلمون لماذا ذكرت لكم هذه الحادثة ؟ كنت ذات يوم أتحادث فى نفس مدينة حلب مع قائد كبير ذائع الصيت فشاركنى فى جميع آرائي وملاحظاتى الا انه قال :

ـ ولكن ما الذى يجب أن نصنعه ؟

فأجبته :

ـ اذا لم تستطيعوا أن تعملوا شيئا فلا أقل من تقديم استقالتكم

« فقال لى محدثى الذى شاركنى الرأى فى الشعور بدموعه المبللة :

ـ لا استطيع ذلك لانه ليس عندى مورد رزق أستند عليه شخصيا ويستند عليه اولادي الذين أعزهم كثيرا

وقد أجبته على ما أذكر بهذه الاقوال :

ـ ياسيدى ان المسألة التى عليها مدار بحثنا هى حياة الأمة التركية ومماتها، تلك الامة الآخذة فى سبيل الفناء ودموعكم تدل على اقتناعكم بذلك فلا يجب اذن ذكر الملاحظات والمطالبات الخصوصية أمام هذا الخطر

الذى يريك صفحة من الموت أو الحياة

وقد انتظرت كثيراً علامات الحركة فى ذلك الشخص الذى كان لأقواله وأحواله أثر كبير فى الرأى العام فى ذلك التاريخ

— ٤ —

« اخبرتكم أن خيولنا وأفراسنا لم نتمكن من بيعها فى السوق وقد تقابلت اذ ذاك فى مدينة حلب مع ناظر البحرية، قائد الفيلق الرابع ودار الحديث بيننا على أشياء كثيرة وخيل لى اننا ذهبنا فى الحديث الى تقرير عدة مسائل اتفقنا فى الرأى عليها وقد يطول شرح هذه الصفحة اذ هى فصل قائم بنفسه، غير أنه من واجبى أن أذكر هنا أن المرحوم جمال باشا كان يخصنى بمحبة خاصة وعلاقة متينة، ولم تكن عهد معرفتنا ببعض تبدأ منذ تلك المحادثة، أى لم يكن جمال باشا يعرفنى بعد أن اصبح جمال باشا أو أنا أعرفه بعد ان أصبحت القائد مصطفى كمال.

قال المحرر :

( وقد عاد الغازى بهذه الجملة الاخيرة الى ذكريات ماضية، يرجع عهدها الى أيام قضاها فى مدينة سلانيك، وذلك قبل أن يتم الانقلاب الدستورى فى عام ١٣٢٤ مالية . ولم يكن الغازى راغبا فى قطع الحديث انما رغبة منا فى انتهاز هذه الفرصة الثمينة وأملا فى عدم ضياع نقطة واحدة من تلك الصفحات المجيدة، أردنا ان ندون مايمليه علينا من حوادث ووقائع تنير الجوانب المظلمة من التاريخ التركى فى ذلك العهد فأجابنا الى ماالتمسناه منه وقال . )

— كانت فى سلانيك غرفة خاصة بضباط أركان حرب المشيرية

للفيلق الثالث . وقد كان تأسيس هذا المكتب الخاص ، غريباً فى بابه لا يتفق مع الأصول والنظم المتبعة فى العالم . فى هذه الغرفة الصغيرة تعرفت بجمال باشا لأول مرة وقد كان اذ ذاك البكباشى أركان حرب جمال بك وكنت أنا ( الصاغ قول أغاسى ) أركان حرب مصطفى كمال بك . وقد كان جمال بك على شىء من تجارب العهد الماضى محبوبا من رؤسائه بما كان يبدو عليه من أمارات الذكاء وبما كان يظهره من النشاط أى أنه كان يشغل اذ ذاك موقعاً اكبر من رتبته العسكرية الرسمية . أما انا فقد كنت شاباً غير متدرب ، خرجت من المدرسة برتبة ( يوز باشى ) فقبض على ثم حكم على بالنفى لأول عهدى بالحياة فظللت شاباً قليل التجارب، وكثيراً ما تقابلت مع متـدربين محنكين ؟ ينظرون الى نظرهم، الى شاب أقل منهم درجة ودونهم فى المسائل العامة مراناً . أما أنا شخصياً فلا مناص لى هنا من الاعتراف بأنى كنت أشعر بشىء من الاشفاق لحال هؤلاء ،كلما قارنت بين شخصيتى وشخصياتهم .كنت أشعر بأن هؤلاء ليسوا من الأهلية والا ستعداد بحيث يستطيعون أن يروا الأمارات التى بدأت تظهر فى افق الحوادث،تبشرنا بفجر حياة جديدة . ولا أنكرانى فكرت فى لفت أنظارهم الى هذه التحولات الطبيعية الضرورية، بل حاولت ذلك فعلاء ولكننى أدركت وأنا فى الخطوة الأولى أنهم يعيشون فى عالم يختلف كثيرا عن العالم الذى نروم أن نعيش نحن فيه . فليس من السهل الجمع بين نجوم العهد السالف بشموس العهد الجديد .كل شخص يريد أن يظهر له نور وأن يكون مصدر الاشعاع لسواه فعذرتهم.

خواطر عن سلانيك

« أيها الاخوان » فى مدينة سلانيك ميدان يسمى ( ميدان الحرية ) يحيط به بعض الاماكن الشهيرة مثل نزل ( اولمبوس بالاس ) ، وبار كريستال ، وبار ( يونيون )وغير ذلك

ففى ليلة من الليالى التى ازدحمت فيها أرجاء ( يونيون بار ) قصدت غرفة صغيرة فى ركن من أركانه ، يصعد اليها الانسان ببضع درجات فكانت تلك القاعة الظريفة مزدحمة كثيرا واذكر أنى اقتربت من خوان جلس حوله بعض اشخاص من المعروفين بأنهم من رجال الانقلاب ، وكان بعضهم يشرب جعة والبعض الاخر يشرب (العرق) وكان حديثهم يدور حول الانقلاب وعن الزعيم الذى يصلح للزعامة . فكلهم متعطش الى الزعامة — ولكن كيف يكون الانسان زعيما وبمن يقتدى ليكون زعيما ؟ وأذكر أن أحدهم اذ ذاك صاح بأعلى صوته : ( أريد أن اكون مثل جمال . . . ) فصاح الآخرون : ( مرحى . . . مثل جمال : ) والتفت نحوهم فرأيتهم شاخصين الى ،فتطلعت فى وجوههم بنظرات جامدة ساكنة، اذ كنت اريد بهذه النظرات أن أعبر عن معنى خفى عن ادراكهم، الا أنه لم يتنبه أحد منهم الى مافى نظراتى من التلميح، بل كانوا ينتظرون أن أؤيد ظنونهم فى جمال بك ؟ الذى كنت على اتصال به مساء كل يوم . أما أنا فلاادرى لماذا لم اومى اليهم باشارة تدفعهم الى الاطمئنان. انما أذكر أنه مرت فى نفسى هذه الملاحظة : لايرون فى نظرى الرجل الذى يبحث عن العظمة والمجد والرجل الذى يظن أن نجاة البلاد يتوقف على

وجود الرجل العظيم ويبحث عن القدوة ليتشبه به ، معتقـدا أن انقاذ البلاد لايتم الا بهذه الصفة ، مثل هذ الرجل ليس رجلا فى نظرى »

وأظن أنى لو أبديت هذه الملاحظة لاخوانى الجالسين معى على خوان واحد فى تلك الليلة لحكموا على حكما سلبيا، وربما كانوا قالوا فى معرض التدليل على حكمهم : ( ما لهذا الافندى القليل الدراية بالامور ، انه ليرى نفسه عظيما جدا حتى لتضيق دائرة بنصرته ، بحيث لا يرى العظمة . مثل هذا لا يصلح أن يكون من رفقائنا )

فى تلك الليلة قد تبلورت فكرتان بتأثير نشوة بنت الحان على تلك المائدة. فكرة ايجابيه وأخرى سلبية . فالفكرة الاولى تذهب الى ايجاد الزعامة أولا ثم تخليص البلاد .أما الفكرة الثانية فترى أن الزعامة ليست الاقوال الجوفاء بل يجب أولا انقاذ البلاد وليس للزعامة حتى بعد ذلك مكان للبحث

أيها الاخوان انى لا أحدثـكم بهذه القصة بشعورى الحالى وبتجاربى التى وصلت اليها فى يومى هذا . بل ان هـذه فكرة تولدت فى نفسى تلك الليلة أثر ماشاهدته فى الغرفة الصغيرة فى بار «يونيون »

تفسير مقالة

« كان جمال بك قد حرر مقالة فى احدى صحف سلانيك نشرت بدون توقيع ، وكنا قد خرجنا معا من دائرة عملنا وأخذ الترام فى طريقنا الى نادى ( اوليمبوس ) فمد جمال بك يده وناولنى تلك الصحيفة قائلا :

— هل قرأت هذه الافتتاحية ؟

— كلا

— اذن اقرأها

وعند ما اتممت قراءتها سألني عن رأيي فيها فأجبته :

— افتتاحية عادية لصحفي عادى :

فقال :

— ماهذا التغالى انها افتتاحية بقلمى

فأجبته :

— أرجوك الصفح . ما كنت اعلم ذلك وكنت أتمنى ألا يكون ذلك . اياكم ياجيال بك والسير فى طريق اكتساب اعجاب بعض صغار الاحلام بأمثال هذا الامر واشباهه ،فانه ليس لهذا العمل قيمة ولا قدر عليكم ان تنعموا النظر فى موقفنا الحاضر وعليكم أن تعتقدوا معى انه من الضرورى على المرء أن يتفانى .فاذا تنازلتم الى استمداد القوة من رضى هذا واعجاب ذاك فلا أدرى ماذا يكون حالكم وانما أؤكد أن مستقبلكم لايكون على أساس متين . لان أمامنا عالم واسع، لم يتصادم بعد بالحقائق وفى هذا العالم كثيرون متشبعون بخيالات لم تنضج بعد. العظمة هى أن تسير فى طريقك دون أن تلتفت الى أحد، دون أن تلجأ الى اغراء أحد. ضع نصب عينك الكمال الذى تطلبه البلاد، وسدد سهام جهودك لهذا الغرض ، غير هياب ولا وجل،وسوف يعترض طريقك أناس يحاولون صدك عن غايتك فكن شديد البأس صلب العزيمة فى موقفك اذ ذاك. فذلل هذه العقبات وانت على اعتقاد أنك ضعيف . عاجز صغير يائس من معونة أي انسان ، لا على اعتقاد منك بأنك كبير تستطيع اتيان عظائم

الامور . وبعد ذلك كله اذا قيل لك أنك عظيم تسخر من أقوالهم »

أنصت جمال بك الى أقوالى هذه بسكون ونزل عند رأيي هـذا

وظهر لى أن ما اعتراه من نقد مقالته المكتوبة بلا توقيع قد زال .

**خواطر عن جمال باشا**

قال المحرر : ( وهكذا انتهى الغازى من خواطره عن جمال باشا بتلك الجملة الحكمية التي يصح اعتبارها درساً فى كل زمان ثم استمر الى ماحدث له فى حلب يقول ) :

« أخبرتكم أنى لم أجد مشترياً لخيولى فبعد أن تجاذبت فى حلب أطراف أحاديث هامة مع جمال باشا دار بيننا هذا الحوار البسيط

— عندى بعض جياد أصلية ياجمال باشا وأنا فى حاجة الى تصريفها ولكننى لم أجد لها طالبا وبما أنكم من القواد السابقين هنا فهل لكم أن ترشدونى على طريقة ما .

— دعنى أولا أعرض هذه الجياد على بياطرتى لفحصها

— عند ماكنت فى ديار بكر أخبرنى الالمان والنمساويون أن هذه الجياد ثروة لا يستهان بها ولا أرتاب أنا فى قيمتها ومع ذلك افعلوا ماتشاءون

وقد عرض على جمال باشا الفين ذهبا لجملتها صفقة واحده واستطعت بهذه الصورة من التوجه للأستانة .

وأنا فى الاستانة ، وصلتنى ذات يوم من واصف باشا مستشار البحرية تذكره مرفقة بها برقيه من جمال باشا مآلها . « بعت خيولكم بخمسة آلاف ذهبا وقد ظهر أنى غبنتكم كثيرا فى السعر فالى أين أرسل لكم الثلاثة الآلاف الباقية ؟ »

فتوجهت على أثر هذه البرقية الى المستشار واصف باشا وقلت له :
( لم أفهم معنى هذه البرقية انى بعت خيولى للباشا بألفين فاذا باعها هو بخمسة آلاف فلا يكون مجبراً بارسال الباقى )
ولكننى أضيف أن جمال باشا ارسل الى الباقى بواسطة واصف باشا رغم استنكافى من قبوله، وأرى من واجبى أن أذكر هنا ان هذه النقود قد افادتنى فى جهودى الجديدة لانى عند ما كنت فى الآستانه وعندما شرعت فى تنفيذ ما فكرت فيه فقد عرض كثير ممن شعروا بعزيمتى أن يمدونى بمعونتهم فلم أقبل شيئا من ذلك، لأن جميع الذين أرادوا مساعدتى من هذا الطريق لم يكونوا من أصحاب العزيمة فى سبيل المثل الاعلى واذا لم تجدوا بأسا من تعبيرى هذا فأقول ان هؤلاء عند ما يقرأون كلماتى هذه فلا يستطيعون الرد على ما اتحداهم به الآن، من أنهم بما عرضوه على كانوا مشوشين عاديين فيكون سكوتهم بمثابة اقرار وعدم جنوحهم الى الرد بمثابة اعتراف »

— ٥ —

الغازى بين أهله

« حضرنا الى الاستانة بما وصل الينا من ثمن الجياد وكانت أمى وأختى تقيمان فى الشقة رقم ٧٦ من الأبنية الجديدة التى يطلق عليها اسم (العقارات) أما أنا فقد أخذت أبحث عن مسكن آخر لنفسى ، اذ كان لا يروق لى منذ الصغر السكنى مع أم أو أخت أو قريب أو حبيب . تعودت على الاستقلال فى المعيشة والانفراد فى السكن منذ الصغر ودرجت على ذلك باستمرار.
ولى خصلة أخرى غريبة وهى أننى ما كنت أحتمل قط أن توجه الى أمى أو أختى أو قريبة من أقربائى نصائح أو ارشادات بمقتضى ما درجوا عليه

من أفكار وعقائد . أما والدى فقد توفى وأنا فى الصغر وكل من يعيش وسط أهله وعشيرته يعلم تماماً أنه معرض لارشادات وتعاليم يتلقاها من يمينه ومن يساره فلا يسعه ازاء هـذه الحالة سوى اختيار طريقين : اما الطاعة واما الاعراض بتلك النصائح وعندى أنه ليس من الصواب فى شىء اختيار احد الأمرين ؟ لأن الطاعة عندى لأحد أصولى الذى يزيد عنى ما ينوف عن عشرين عاما ، معناها الرجوع الى الماضى ، اما العصيان والتمرد فهذان أيضاً فيهما صدع للقلوب ، لا سيما قلب امى التى لا أشك أبداً فى فضيلتها وحسن نيتها وسمو روحها ومع ذلك يجدر بى أن أذكر لكم هذا أن أمى وأختى كانتا يثقان بى ويمنحانى العطف فى حوادث الانقلاب .

« كنا فى سلانيك فى عهـد أتولك تقـديره لذاكرتـكم وكنا نشتغل متفانين فى اعداد حركة نروم بها قلب الادارة ، فعقدنا اجتماعاً فى منزلنا قبل اعلان الدستور بزمن طويل ، وكان منزلنا اذ ذاك فى سلانيك أمام مدرسة الصنائع . واذكر انه منزل واسع ، لونه ضارب الى الحمرة . وكان بين الاخوان فى اجتماع تلك الليلة صديق لى بدين الجسم يدعى كمال بك من ضباط الخيالة توفى تاركا فى نفسى ذكرى ممزوجة بالاحترام . كان هذا الصديق جمع نقوداً وافرة قطعاً فضية وذهبية . فرأت اجتماعنا خادم عندنا وأخبرت أمى بأن فى الطابق العلوى من المنزل مؤامرات ومناقشات ونقود . . . وغير ذلك من الأقوال التى تثير كامن الفضول فقامت أمى من فراشها رغم ما كانت تعانيه من آلام الشيخوخة والمرض واقتربت من غرفتنا حيث كنا مجتمعين وسمعت طرفاً مما دار بيننا من الحديث . وبعد انصراف الاخوان ، جاءت الى أمى — وكنت أظنها نائمة — وقالت لى ( ياولدى أريد أن توضح لى أمراً

هل تحاول أنت وأخوانك أن تشقوا عصا الطاعة ضد السلطان الحائز لقوة سبعة أولياء ؟ ) ما كنت أريد أن أخبر أمي واختي بما نفكر فيه وبما نعمله الا أنه بعد أن رأت اجتماع تلك الليلة وفهمت كل شيء لم أر داعياً لاخفاء الحقيقة عنها بل فضلت أن أشرح لها الحقيقة فقلت لها :

— أجل يا أماه إن الرجل الذى تعتقدين فيه قوة سبعة أولياء ، لا يملك شيئاً من القوة ، نحن الذين اجتمعنا هنا نريد أن ننقذ الوطن من هؤلاء الظالمين قد لا يصل ادراكك الى هذا الأمر وقد تنسين أنى ابنك فتذهبين لمواصلة الأولياء . . .

فجمعت أمي حواسها اذ ذاك وقالت :

— انكم يا ولدى لا تلتمسون الحيطة لانفسكم وما دمتم تعالجون مثل هذه الامور فخبرونى بما تعملون واحفظوا عندى ما تخشون عليه كما يجب الحذر، لأن النجاح من الصعوبة بمكان وأجدر بكم أن تقدروا الفشل اكثر من الفوز اعذرنى يابنى فانك ولدى الوحيد ولا أريد موتك لان ذلك يؤلمنى كثيرا :

فقلت لها :

— أماه انهذه المسائل قد أخذت تعدو فى سبيلها وان شرفى يحتم على أن أكون من المشتغلين بهذه المسائل فهل تمنعونى عن ذلك ؟

— لا يا ولدى . انى اذا لم أجدك بين أصحاب الشرف والمقام بعد ان تتم هذه الامور فهناك اليأس والاضطراب. انى لم أقرأ بمقدار ما قرأت وليس لى حظ من الفهم مثل حظك من الفهم والادراك فلا أمنعك من

أمر تراه وتسعى فى تحقيقه وانما أوصيك بالحذر والغاية هى أن تنجحوا وتتوفقوا فاجعلوا همكم الوصول الى هذه الغاية »

السفر مع ولى العهد

« كنت أقيم فى قسم من أقسام فندق ( بيرا بالاس ) فى الاستانة ، وكنت أفكر بيأس ، كرجل اقتنع بأنه قضى على كل شىء اللهم الاوجه من الامل يبعث على التسلية وهو إمكان تخليص ماكان قضى عليه .

وأنا فى هذه الحالة الروحية واذا أنور باشا يرسل الى ، بصفته وكيلا عن السلطان من يقول لى هذا القول الذى كلمنى فيه هو شخصيا فيما بعد

— أرسل امبراطور ألمانيا دعوة الي الذات الشاهانية لزيارته فى معسكره العام ونظرا لان الذات الشاهانية فى حالة لا تسمح لاجراء مثل هذه السياحة فكرنا فى أن ينوب عنه سمو ولى العهد فهل تقبلون أن تكونوا فى رفاقته ؟

ولما كانت مثل هذه السياحة مع مثل الرجل ، تغرى النفس بالقبول ، فقد وافقت فى الحال فصدرت الاوامر اللازمة بذلك وتقرر سفرنا بعد بضعة أيام فى مساء الخميس وقد قيل لى :

— يجب أن تتعرف بسمو ولى العهد قبل القيام بالسياحة . وكان قد تقرر أن يكون معنا أيضا ناجى باشا أحد قواد الفيالق الآن وقد كان اذا ذاك الميرالاي ناجى بك وهو استاذى فى فن التربية العسكرية بالمدرسة الحربية ، فاجتمع كلانا ذات يوم قبل السفر فى سراى وحيد الدين افندى . وقد أدخلانا الى غرفة فى السراى تؤدى الى صالة مفروشة بالحصر العربية وأثاث هذه الغرفة التي كانت تموج بأشخاص من لابسي الردينغوت ،

عبارة عن ( كنبة ) بجانبها كرسيان من نوع ( الفوتيل ) وما كدنا نتوسط هذه الغرفة ونحن وقوف بعد ، حتى ظهر رجل من بين لابسى ( الردينغوت ) ، دخل علينا ، وانا ورفيقى فى حيرة لا نعرف من هو القادم الحديث ومن يجب أن يكون ، وتوجه هذا القادم الى صوبنا وجلس فى الزاوية اليمنى من ( الكنبة ) وجلست انا على الكرسي المواجه له وجلس ناجى باشا فى الكرسي الآخر . وقد أغمض هذا الرجل عينيه ، ثم فتحهما بعد مدة وتلطف معنا بقوله :

— تشرفت بكما وانى لمسرور .

وأغمض عينيه مرة أخرى وبينما كنت أستعد للاجابة على هذه الاقوال الرقيقة ، أدركت أنى امام شخصية غائصة فى لجج الاغماء فترددت فيما اذا كان على أن أجيب أولا أجيب . ونظرت بعد ذلك الى وجه ناجى باشا فرأيته ساكتا أيضا ولذلك فضلت أن انتظر لأرى هل لديه مقدرة على التكلم مرة أخرى ، ففتح عينيه بعد برهة وقال :

— سنسافر أليس كذلك ؟

فأجبته وأنا فى حالة حزن وألم :

— نعم سنسافر .

وأعترف انى شعرت فى الحال أنى وجها لوجه مع مجذوب ، غير أنى كنت منعت نفسى من الدخول فى حديث منطقى ، فانتصبت واقفاً وقلت :

— سنسافر معاً يامولاى وسنبدأ السياحة بعد يومين وستكونون مساء الخميس فى المحطة حيث نقوم من هناك

خرجنا بعد السلام وكنا فى عربة فخمة من عربات السراى وأذكر انه دار بينى و بين ناجى باشا حديث فى هذا المعنى

— انه لمسكين سيء الحظ جدير بالشفقة. ماالذى ينتظر من هؤلاء؟

— هو كما تقول .

— سيكون هذاالمسكين فى الغد سلطانا فماذا ينتظر منه ؟

ـ لاشىء

— ونحن الذين اوتينا عقلا وادراكا وفهمنا حالة البلاد وما تخبئه لها الأيام والأقدار ماالذى نستطيع أن نعمله .

فأجاب ناجى باشا :

— أمر عسير .

— ٦ —

« وفى مساء الخميس توجهت الى المحطة وكنت قد أوسلت الى حاشية وحيدالدين أن سياحتنا ستكون نوعاًما عسكرية وأن يرتدى سموه ملابسه العسكرية ولكننى عند ماحضرت الى المحطة وجدت وحيد الدين أفندى فى ملابسه الملكية. وكان لولى العهد تشريفاتى يدعى احسان بك فقلت له :

— كنت قد أرسلت بأن يرتدى سمو ولى العهد ملابسه العسكرية ألم تخبروه ذلك ؟

فأجابنى بشىء من الغرور الذى ولدته تقاليد السراى:

— من تكونون أنتم ؟

ـ لايسمح لى المجال بأن اوضح لكم من أنا وانما أسألك أنى كنت أرسلت بأن يرتدى سموه الملابس العسكرية فهل أخبرته أم لم تخبره؟

وقد نطقت بهذه الجملة بشىء من الخشونة، فاضطر حينئذ الى الاجابة بقوله :

ـ أنا قلت له ولكنه لم يفعل

— ولماذا لم يفعل ؟

— اسمحوا الى أن أوضح لكم ذلك :

وهنا أفهمنى أنهم كانوا وجهوا الى ولى العهد رتبة الفريق ثم أفهموه بعد ذلك أنها رتبة ( ميرلوا ) فتأثر من ذلك وفضل أن يحضر بملابسه الملكية مادامو نزعوا منه رتبته الأولى وخفضوها الى رتبة أقل منها.

فلم أجد داعياً الى اشغال نفسى أكثر من ذلك مع احسان بك اذ كان القطار حاضراً وهناك مفرزة من الجنود مصطفة على نظام حربى، انتظاراً

لتشييع ولى العهد . وكان بين الحاضرين أيضاً أنور باشا وكيل القائد العام فاقتربت من ولى العهد وقلت له :

— هذه الجنود حضرت لتشييعكم فحيوها

فنظر الى وجهى كمن يريد أن يقول :

— كيف ؟ فقلت :

— سيروا أنتم ونحن من ورائكم .

ومشى ولى العهد أمام الجنود رافعاً كلتا يديه بشكل غير طبيعى وبعد أن عدنا ودخلنا القطار أمرت بفتح نوافذ الصالون وقلت له عند ما أذن القطار بالتحرك

— حيوا الناس والجنود من هذه النافذة ؟

فقال لى :

— لماذا هل يجب ذلك ؟

— نعم يجب .

وكان يفعل بكل اخطاراتى وارشاداتى المتوالية بما يدل على الاستسلام . وبعد أن ابتعد القطار عن الاستانة ذهب ولى العهد الى الجناح المخصص له فى صالون آخر اذ كان الصالون الذى تركنى فيه مخصصاً لى لأنام به ، الا أننى عند ما أجلت نظرى فيما حولى وجدت الصالون مكدساً بالحقائب والأمتعة وكنت قلت لشخص من المقربين لوحيد الدين يدعى رفيق :

— اريد أن أنام قريباً من وحيد الدين لأكون معه ولأستطيع دراسته

وكان هذا الرجل قد وعدنى بذلك . الا اننى وجدت أن حاشية وحيد الدين كانوا قد ملأوا كل ناحية من نواحى القطار وتركوا لى هذا

الصالون وعند ماسألته عن ذلك اجابنى اجابة حسنة فقال :

— ان مولانا يريد أن يكون مع أتباعه ووجودكم مع سموه قد يسبب له أولكم شيئاً من التعب ولهـذا فضلت أن تكونوا فى مكان متصل بقاطرة سموه .

وقد وجدت قول رفيق بك معقولا .أجل كان من الواجب أن يكون الخدم والأتباع على مقربة من وحيد الدين وأن يكون رفيق بك على رأس هؤلاء الخدم !

— ٧ —

*فى القطار مع ولى العهد*

كان القطار المسافر بنا ابتعد عن الاستانة مسافة طويلة ، ينهب الأرض فى بلاد تركيا، عند ماجاء الى انسان يقول :

— يدعوكم مولانا الى صالونه الخاص

والحق انى اغتبطت بهـذه الدعوة لأنهـا تتيح لى الفرصة الأولى لدراسة سلطان الغد من على كثب ، وعند مادخلت صالون وحيد الدين وجدته ينتظرنى واقفاً . فجلس وأشار الى أيضاً بالجلوس وقد وجدت فى هذه الدقيقة ، الرجل المغمض العين فى سرايه، فى حال غير الحال الأولى ، وجدته فى هذه الدقيقة مفتوح العينين ، ينظر الى متفرساً وقد خاطبنى كمن يلقى على خطبة فقال :

— عفواً يا حضرة الباشا لم يكونوا قد أفهمونى حتى بضع دقائق من هو الشخص الذى أرافقه فى سياحتى .وقد فهمت بعد قيام القطار بناء على ما اتصل بى من المعلومات، انى فى قطار واحد مع قائد من قوادنا أعرفه غيابا وأقدره

كثيراً . انني أعرفكم تماماً .وجميع الاجراءات التي اتخذتموها والانتصارات التي أحرزتموها في موقعي (أري بروني) و(أنا فارطة) ، أنا عليم بها.أنتم قائدنا الذي أنقذ الأستانة وكل شيء ، وانني مغتبط ونخور بسفرنا معاً

وكان وحيد الدين يقول هذه الأقوال برزانة وانتظام،فعجبت من ذلك وأجبته بما يناسب المقام ودارت بيننا أحاديث جدية على غاية من الاخلاص

وقد رأيت أن ماتحادثنا به تلك الليلة كاف فطلبت الاذن بالانصراف مظهراً له انني لاأريد أن أورث له تعباً اكثر. وعند ماعدت الى الجناح المخصص لي كنت اشعر بانشراح في الصدر . أخذت أقول في نفسي : ان هذا الرجل لابد وأن يكون عاقلا. ان ولي العهد الذي ظهرلي بمظهر غريب تحت تأثير العوامل والاسباب التي يسهل معرفتها لمن كان واقفاً على أسرار ذلك العهد ، وذلك عند مقابلتي الاولى له في الاستانة ، قد رأى نفسه حراً بعد مغادرة الاستانة لاسيما عند ما توسم الصدق والاخلاص فيمن يخاطبهم فلم يجد بأساً بعدذلك في اظهار شخصيته الاصلية.اذن فانا أستطيع أن أوقفه على جميع الاحوال والضرورات. بل ذهب بي الخيال الى دفعه الى العمل في سبيل يستطيع هو ان يسلكها

«وكانت أيام الرحلة تتوالى ونحن خلالها نتقابل في جلسة قد تطول آونة وتقصر أخرى والفكرة التي تكونت عندي ، انه ممن الممكن انفاذ بعض الامور بواسطة هذا الرجل، على شرط تنويره وتعضيده باخلاص وعدم مفارقته وقد اخبرت ناجي باشا وأشخاص آخرين بوجهة نظري هذه وذكرت لهم ان اعداد ولي العهد على هذه الصورة واجب تقتضيه مصلحة البلاد، وتمت رحلتنا بمثل هذه المقابلات والاتصالات مع ولي العهد مني ومن رفقائي

— ٨ —

## مع أمبراطور ألمانيا

« كنا قد وصلنا الى بلدة صغيرة، يوجد بها المسكر الالمانى الكبير. وعند ما كانت قطعة من الجيش الالمانى المهيب مصطفة أمام مدخل المسكر لتأدية التحية لنا، كان القيصر بنفسه يشترك فى حفلة الاستقبال عند ردهة المدخل، فاجتزنا المدخل الى ردهة واسعة ووجدنا الامبراطور، وهندنبرغ ولودندورف، وجميع ضباط وأمراء وأركان المسكر على أهبة السلام على ولى العهد وحاشيته. وبعد أن تصافح القيصر مع ولى العهد وتعاطى بعض كلمات معه بدلالة ناجى باشا قيل له :

— يقتضى تقديم من معك الى الامبراطور. فقدمنى ولى العهد الى الامبراطور الذى كان واضعاً احدى يديه خلال ازراره اللامعة على صدره، فأمسك يدى بيده الثانية وقال بالالمانية بصوت عال :

— الفيلق السادس عشر . . . آنافارطة!

فتوجهت انظار الحاضرين الى عقب هذا الاخطار. اما انا فقد ادركت ما يريد ان يقوله القيصر ولذلك نظرت أمامى خجلا.

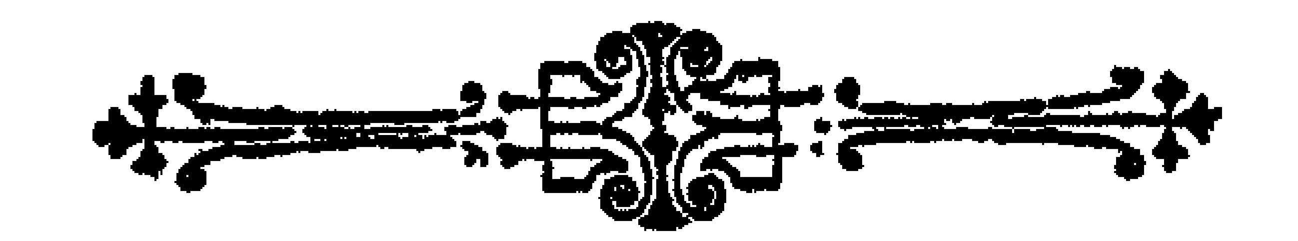
ويظهر ان الامبراطور ارتاب فى موقفى ذلك وظن انه خاطب انساناً غير المقصود فسألنى.

— ألستم انتم مصطفى كمال قائد الفيلق السادس عشر وصاحب موقعة آنافارطة؟

فأجبته بالفرنسية على هذا السؤال الموجه الى بالالمانية

– نعم يا أكسه لانس . . .

وعند ما خرجت هذه الـكلمات من فمى أدركت انى اخطأت خطأ كبيرا اذ كان يقتضى أن اقول (سير) او (كايزر) ولا اكذبك الحديث اذا قلت ان المرء ليجد صعوبة فى اداء مالم يعود لسانه عليه ، ولم يكن هذا الخطأ أول خطأ فى نوعه ارتكبته ، اذ أذكر أنى وقعت فى مثل هذا عند ما تقابلت مع فرديناند ملك البلغار لاول مرة وجها لوجه



— ٩ —

## فى مكتب هندنبرغ

« كانوا قد أعدوا لنا جميع وسائل الراحة فى المعسكر وأفردوا لكل منا مكانا خاصا. وكان على ولى العهد أن يقوم ببعض الزيارات، مثل زيارة هندنبرغ أولا، ثم زيارة لودندورف بعد ذلك. وكنت أنا وناجى باشا ملازمين لولى العهد فى هذه الزيارات

كنا فى المكتب الصغير الذى يشتغل فيه هندنبرغ، وكان جلوسنا على هذا الترتيب : المارشال فى أول مكتبه ، وفى المقعد الواقع على يمينه وحيد الدين ، وبجانبه ناجى باشا، واسطة التفاهم بينه وبين المارشال . وأنا كنت فى المقعد الواقع على يسار هندنبرغ. وكان ولى العهد يتحادث مع هندنبرغ ورغم انه فى مثل هذه المقابلات الرسمية القصيرة ليس من المعتاد الخوض فى أحاديث هامة، فقد كان هندنبرغ يحدث ولى العهد، أى يحدث الامة التركية جميعها — بطريق غير مباشر — بأحاديث تبعث النفس على التسلية والاطمئنان . وكان ولى العهد يتقبل منه تلك الايضاحات المسلية شاكرا. أما انا فكنت أريد ان احمل النفس على الاعتقاد بأن الاقوال التى سمعناها فى ذلك المجلس من لسان هندنبرغ، هى من قبيل الاقوال التى تمليها اعتبارات الضيافة وحسن المعاشرة العالية. وإلاّ فإن مدلول الايضاحات يدفعنى الى اليأس . ولم أجد من المناسب ان أشترك فى المحادثة بل كنت انتظر الا تطول وقد كان .

— ١٠ —

*زيارة لودندورف*

« وقد قابل لودندورف أيضا وحيد الدين برعاية تامة وحفاوة عظيمة ويمكن القول بأنه هو أيضا أفضى بايضاحات تبعث النفس على التسلية بما لا يخرج عن حد البيانات التى أفضى بها المارشال. وقد تكلم بالأخص عن الهجوم الباهر الذى ابتدأوا به فى تلك الأيام على جيوش الحلفاء فى الجهة الشمالية الغربية وقد كنا نعلم فى الأصل بأمر هذا الهجوم الا أننى كنت متشوقا الى سماع النتيجة المنتظرة من هذا الهجوم من فم لودندورف نفسه وقد لاحظت ان الغاية من هذا الحديث لا تؤدى الى ما أريد وانما الهدف المقصود من تلك البيانات بتوضيح الهجوم الذى تقوم به الجيوش الالمانية، هو اعطاء الضمانات المؤدية الى تقوية الروح المعنوية فى الأمة الألمانية وجيوشها والدول المحالفة لها. ويظهرانى رغبة فى ازالة ماساورنى من الشك وجهت هذا السؤال القصير للجنرال :

— الى أى خط تستطيع القوات المهاجمة أن تصل فى النهاية ؟

فقطع الجنرال بياناته التى كان يفيض بها بلباقة على أثر هذا السؤال الذى فوجىء به من قبل ضابط يرافق ولى العهد وأخذ يفكر لحظة ثم نظر الى وجهى فقال :

— نحن الآن نهاجم والحوادث ستظهر النتيجة

فأجبته :

— أظن أنه ليس ما يدعو الى انتظار الحوادث والاقدار، لمعرفة ماسيؤول اليه الهجوم المشروع فيه، لأن الهجوم الذى بدىء به ماهو الا هجوم، وضعى

فنظر لودندورف مرة أخرى الى وكان قد فهم تماماً ماأقصده من هذا القول وصمت دون أن يفوه باجابة مثبتة أو سلبية . وقد انتهى الحديث عند هذا الحد وتمت الزيارة على هذا الوجه .

« وقد تصفحت مذكرات لودندورف من أولها الى آخرها. وتبحث المذكرات عن أصول من المسائل الكبيرة بمهارة عظمى وليس من حقنا طبعاً أن نطالبه بذكر سؤال قصير وجه اليه من زائر مجهول لديه فى زيارة قصيرة وما أدى اليه هذا السؤال من التوقف أما نحن فلم نشأ أن نطوى ذكرى تصادم أفكارنا فى لحظة قصيرة ، مع شخص عرف فى جيوش العالم ، بأنه جندى كبير وأركان حرب عظيم ، عند البحث عن هذه الزيارة

— ١١ —

وحيد الدين والامبراطور وجهاً لوجه

« كنا فى الفندق المخصص معسكراً للامبراطور وفى نفس غرفة ولى العهد ، نتحادث وحيد الدين وأنا وناجى باشا . وكان حديثنا يدور حول المسائل العامة والخطيرة التى فتحت أبوابها لولى العهد طول سياحتنا ، كنت أحاول فى أحاديثى أن أبرهن على بطلان فكرة وكيل قائدنا ، تلك الفكرة التى ترمى الى افهام الناس بالانتصارات المرجوة من طريق تضحيتنا بالاستناد الى الجيش الألمانى . والوسيلة التى ساقتنى الى هذه البيانات هى موقف الاتكال للاقدار الذى ظهر به لودندورف ، عند ماوجهت اليه سؤالى القصير . كنت أسعى برغبة حارة فى نفسى ، أن يفهم سلطان الغد كل أقوالى ونحن فى المكان الذى يتيح له التحقق ولا أدرى لماذا كنت راغبا فى التفاؤل بحسن نتيجة ماأسعى به . وكانت أقوالى وبياناتى

تقابل من جانب ولى العهد باشارات تدل على اقتناعه بصحتها .

ونحن فى ذلك واذا بأصوات مختلفة تتردد فى جوانب الفندق وتصل حتى القاعة التى كنا بها :

— القيصر . . القيصر . .

ثم دق الباب واخبرونا أن القيصر قادم لزيارة ولى العهد فهرعنا فى الحال لاستقبال القيصر الذى دخل القاعة فجلسنا جميعا وأخذ الامبراطور يتكلم عن الدولة العثمانية كحليفة وفية ذات قيمة كبيرة لالمانيا وخص بالذكر أنور باشا وكيل القائد العام الذى أدرك قيمة هذه الصداقة وعلو مرتبتها فأخذ يسعى فى سبيل تقويتها بهمة كبيرة وأن القيادة الالمانية واركان حربها تولى هذا الرجل العالى القدر كل ثقتها واعتمادها .

وكنت جالسا على يمين وحيد الدين وكان ناجى باشا قبالتنا تماماً والامبراطور على يساره وقد سئل الامبراطور من وحيد الدين على لسان ناجى باشا هذا السؤال تقريباً :

— ان ايضاحات جلالتكم بخصوص صداقة تركيا ووفائها لالمانيا والسعادة التى تنتظر حلفاء المانيا فى المستقبل القريب ، كل ذلك أيقظ فى نفس هذا العاجز الذى يضطره موقفه الى التفكير فى مستقبل الدولة العثمانية ، غبطة عظيمة . وانما بغض النظر عن تدقيق الحالة العامة فاننى فى حاجة الى تفهم نقطة ما بوضوح وجلاء : ان الضربات الموجهة الى قلب تركيا مازالت مسرعة فى طريقها فاذا وصلت هذه الضربات الى هدفها ، اضمحلت تركيا ولم أحظ بعد بسماع بياناتكم التى تؤكد لى توقيف هذه الضربات فهل تتكرمون بتطميني وتوضيح ما التبس على بهذا الخصوص ؟

فقام الامبراطور من كرسيه على أثر هذا السؤال وخاطب ولى العهد بهذا القول:

— يا ولى عهد تركيا المحترم . ألاحظ أن هناك من يحاول تشويش أذهانكم أنا امبراطور ألمانيا أحدثكم عن المستقبل وعن انتصارات المستقبل فهل تظلون على ارتيابكم بعد أو يزول هذا الارتياب ؟

فأجابه ولى العهد اجابة مثبتة وأضاف أن قلقه لم يزل بعد .

لم يجلس الامبراطور بعد ذلك فى كرسيه الذى قام عنه وأتى بحركة تدل على أنه عازم على تركنا ومشى نحو باب القاعة فقمنا نحن ووحيد الدين نشيعه حتى خارج الباب. وكان القيصر يتجه نحو ممر على اليسار ولما كنت أدركت أنى لم أنل حظوة فى نفس الامبراطور، وقفت بعيداً فى الممر المعكوس، فصافح القيصر ولى العهد ثم ناجى باشا الذى كان على مقربة منه وبعد ان نظر الى سار قليلا فى استقامة الممر .

لم يكن قد صافحنى بعد وقد كان محقافيما فعله أ كان عليه أن يسعى بنفسه الى جنرال يرافق ولى العهد ليصافحه، كان على هذا الجنرال أن يتهافت مسرعا فى التقرب من الامبراطور لينال شرف مصافحته . وانى لاعترف بهذا الخطأ ولا أدرى لماذا وقفت اذ ذاك موقفا ساكنا ينم عن الذهول ولكن الامبراطور بعد ان خطا خطوتين أو ثلاثة اقترب منى قائلا

— عفواً ألم اصافحكم بعد.

فمددت اليه يدى ونلت تعطفاته الرقيقة السامية

— ١٢ —

على مائدة الامبراطور

« إنا على دعوة من الامبراطور لنتناول طعام العشاء ، وكان الامراء جالسين أمام الامبراطور ، وعلى يمينه وحيد الدين ويساره المرحوم حقي باشا سفير برلين وكنت على يسار الامير الجالس قبالة الامبراطور وعلى يسارى لودندورف الذي كان يحادثني بالفرنسية فالتفت الامبراطور اليه وقال له بالالمانية :

– تكلم مع الجالس الى يمينك، فأجاب

– نعم أنني افعل ذلك

ولما كنت ملما بالالمانية الى الحد الذى أستطيع أن أفهم مثل هذا الحوار اعددت نفسى لاخطار الامبراطور واجابة لودندورف. الا أن لودندووف الذى كان وما زال متعبا بادارة حركات عسكرية كبيرة لم يخض معى فى حديث جدى يترك أثراً فى ذاكرتى

انتهى الطعام وكانت صالة الطعام متصلة بصالة أخرى مشابهة لها تكاد تكون متممة لها، فانتقل بعض من كان على الطعام اليها. وكنا فى الصالة: الامبراطور وهندنبرغ ولودندورف وشخص آخر، أظن أنه رئيس وزراء المانيا فى ذلك العهد ومن الاتراك ولى العهد والمرحوم حقى باشا ونحن

وكان الامبراطور واقفا فى ركن من الصالة يتحادث بلذة مع وحيد الدين وأما انا فقد كنت واقفا تجاه هندنبرغ الواقف مستندا على الحائط الفاصل بين الصالة، تلك الشخصية المهيبة التى تدل نظراتها النافذة على معرفة الحقيقة

والتى تتجنب افشاء تلك الحقيقة لكل انسان وكنت اريد أن أتحادث معه وكنت أرغب خاصة فى السعى الى تجديد الحديث الذى قطعناه عند مازرته انا وولى العهد

كان المرشال أثناء زيارتنا له حدثنا عن اصلاح الحالة فى سوريا وعن ادخال فرقة جديدة من الخيالة على ميدان الحرب فى ذلك الموقع، مع ان حديث هذا الرجل العظيم كان بطبيعة الحال عبارة عن التقارير التى وصلت اليه عن الحالة فى سوريا وفى الحقيقة أن فرقة السوارى المشار اليها كانت الفرقة المطلوبة لتقوية جيش (الصاعقة) عندما كنت قائداً للفيلق الثانى وقبل تعيينى قائداً للفيلق السابع كانت المساعى مبذولة لتكوين تلك الفرقة واعدادها، الا أن هذه الفرقة السيارة كانت ضعيفة وكان من الواجب تمرين خيولها فى مراعى رأس العبد أولا، ثم فحص حالتها لمعرفة ما اذا كانت تصلح أو لا تصلح. وبعد أن أصبحت قائداً للفيلق السابع بشهور عديدة، شرعت فى تحقيق هذا الامر بنفسى واتضح لى من التقارير التى وصلتنى أن هذه الفرقة أبعد ما تكون عن الاستفادة منها وما سمعته اذ ذاك فى المعسكر الالمانى العام من نفس هندنبرغ ان هذه الفرقة الجديدة دخلت ميدان الحرب وان الحالة فى سوريا صلحت بدخولها .

فأخبرت المارشال بما وقع وقلت له :

— ما سأحدثكم به قد يكون مخالفاً للتقارير التى تصلكم ولكن يمكنكم أن تعتقدوا أنها الحقيقة بلا مراء. ان الحالة فى سوريا لم تصلح بعد وبعد يا جناب المرشال أنتم اليوم تقومون بهجوم عام ولا أظن أنكم على ثقة تامة من النتيجة والا فهل تخبرونى عن الغاية والهدف اللذين تؤملون

أن تصلوا اليهما

ولكن هل يجيبني هـذا الجندى العظيم المحترم على هذا السؤال .
أما كان الأحرى ألا أنتظر ذلك منه : فهذا المظهر الدال على عدم الاكتراث الذى ظهرت به اذ ذاك انما كان بتأثير الشمبانيا النفيسة التى قدمت الى على مائدة الامبراطور .

وقد أظهر المارشال أنه مصغ لاقوالى بانتباه ودقة ولكنه أجابنى إجابة بسيطة تطفح بروح المرح ، لأنه كان قد تقدم الى منضدة صغيرة فى وسط الصالة عليها انواع شتى من لفائف التبغ ، فتناول احداها قائلا :

— هل أستطيع ان أقدم لكم لفافة من هذه ياصاحب السعادة ؟

كان المارشال بهـذه الجملة قد أجاب على كل سؤال . فتقدمنا نحو المنضدة حيث قدم لى بيده لفافة من اللفافات . ويظهر أن الامبراطور كان مهتماً بما كان دائراً بيننا من الحديث فسأل المارشال بالألمانية :

— ماذا يقول ؟

ـ بعض أشياء .

وبعد أن أشعلت لفافتى تركت هندنبرغ وذهبت الى ناحية وحيد الدين الواقف مع الامبراطور وسألته .

ـ هل فهمتم الحقيقة . ان من يحدثكم هو امبراطور المانيا فهل قال لكم كلمة توضح قلقى الذى عرضته عليكم ؟

كلا

ـ اذن استمروا فى الحديث وتكلموا بجد ولا ترددوا فى الافضاء الى الامبراطور بكل قلق يساورنا وأنا واثق من أنه سوف لا يسر منكم

ولكنه سيعتقد على الأقل بوجود أناس فى تركيا يرون الحقيقة .

فأجابنى ولى العهد بصفاء نية :

— هذا ماأفعله

وهنا انتهى الحديث بينى وبينه . »

***

— ١٣ —

فى خط النار الالمانى

« بدأوا يرسلوننا الى جهات مختلفة فى الميدان الغربى لنشاهد بأعيننا المناظر المهيبة والحركات القوية المدهشة التى تدفعنا الى الايمان الثابت والقناعة التامة. ووصلنا الى معسكر كبير فى الجبهة. وكان اكبر قواد الجبهة يشرح لنا الموقف على خريطة ملونة توضح كل ترتيب، بشكل جميل منسق، وكانت الاقوال ساحرة والايضاحات عالية تأخذ بمجامع القلوب وقد بهرت هذه الاشياء نفس وحيد الدين الذى كان على مقربة منى فمال الى اذنى يقول:

- وماذا تقول لكل هذا ؟

فأجبته فى الحال :

- اظهر وارغبتكم فى أن تشاهدوا هذا الموقف المبين على الخريطة بنفسكم فى محله .

وقد تم لنا ذلك وصرنا الى نفس خط النار ، حيث تقابلنا مع قواد من مختلف الرتب ، اكرموا وفادتنا كل الاكرام . وكنا نسير وننتقل من مكان

لآخر بموجب بروجرام معد لهذا الغرض وبعد أن رأيت هذا البروجرام قلت :

— ان القائد الأكبر للجبهة وضح لنا الموقف. والجبهة التي نحن فيها الآن هي التي وضح لنا القائد موقفها على الخريطة فهل يسمح لنا أن نترك هذه الخطة الموضوعة وان نسير حيث أشير أنا ؟

فحدث اذ ذاك هرج ومرج وسار وحيد الدين مسوقاً في الاستقامة المعينة في الخطة المرسومة. أما أنا فقد تملكني عناد الجنود ولم أسر حيث ساروا بل سرت مرتكناً على خريطة بيدي، الى نقطة من نقط خط النار، ووصلت الى شجرة قريبة من الخط، وكان عليها ضابط شاب يترصد حركات العدو وكان في رفاقي ضباط من الالمان، فنزل الضابط المترصد وأخذ يشرح مشهوداته . فقلت :

— هل تسمحون لي بالصعود الى الشجرة لأقوم أنا أيضاً بالترصد ؟

فلم يمنعوني مما أريد فصعدت الى الشجرة ورأيت بنفسي صحة ما قاله الضابط تماماً ولكن أجدر شيء بانعام النظر هو حالة الموقف أزاء الحالة التي شاهدها الضابط ولذلك سألت قائلاً

— هل تتكرمون باخباري عن قوتكم ومقدار استعدادكم أزاء موقف العدو هذا ؟

ان ضباط وقواد خط النار الالماني قد اعترفوا بالحقيقة لقائد من قواد حلفائهم والحقيقة هي : قوة المشاة تكاد لا تكفي وهناك قوة من الخيالة أصبحت ضمن قوة المشاة وهذه القوة قد تخرج عن معنى انها في حكم الاحتياط بعد نقط الاستناد للخط الاول

بعد ان علمت بهذه الحقيقة قلت له متحيرا

— اذن فأنتم فى خطر ؟ فأجابونى

— هو ماتقول

— ١٤ —

وعند ماتركنا المعسكر الواقع عند خط النار كان يسير معى قائد من قواد الفيالق، عين لرفاقة ولى العهد وقد أظهر هذا القائدالذى احتككنا به عدة أيام اهتماما بشخصى فقال لى ونحن فوق الجياد أثناء عودتنا الى النقطة التى توجد بها السيارات :

— هل أنتم ياور ولى العهد ؟

— لا

— اذن بأى مناسبة أنتم فى رفاقته ؟

— لأنى معين الآن بهذه الوظيفة

— أنتم على المام تام بالمواقف العسكرية هل أسندت اليكم القيادة على قوة عسكريةما فى تركيا ؟

— نعم

— لا ريب فى انكم وصلتم الى رتبة ميرالاى فأخبرته اننى كنت فيما سبق قائد آلاى . فسألنى اذ ذاك

— هل وصلتم الى قيادة الفرقة ؟ وعند ماقلت له ثانيا « نعم »قال لى:

— أرجوك المعذرة أنا فى سن يقارب سن والدكم وقائد فيلق، فهل تخبرونى آخر قوة أسندت اليكم قيادتها

فأردت أن أنقذ هذا الرجل من وهدة الفضول فقلت له :

— ان مخاطبكم ياعزيزى زميل لكم وصل الى قيادة عدة جيوش بعد أن تقلب فى منصب قائد فرقة وقائد فيلق

فأثرت كلماتى فى القائدالالمانى أثرا ما كنت أعتقده فقال لى :

— عفوا اننا كنا نخاطبكم مخاطبة فى غير محلها بطريق السهو اذن فأ نتم « أكسه لانس »!(١)

ثم وضح لى بعد ذلك أن المعتاد فى الجيوش الالمانية مخاطبة القواد الذين يقودون جنوداً أكثر من الفيلق بجملة « أكسه لانس » وأريد أن أذكر هنا أن هذا الجندى الطيب القلب كان أثناء رفاقته لنا يخصنا بشىء كثير من الاحترام متناسيا ما بيننا من فرق العمر

---

(١) بمعنى ( صاحب السعادة )

— ١٥ —

**محادثة في فندق آدلون**

« أدب لنا والى ( الساس ) مأدبة عشاء فى منزله وكان وحيد الدين مع الوالى فى منضدة واحدة يتحادثان وكنت انا مشغولا أتمشى متفرسا فى وجوه المدعوين الحاضرين فى ذلك الصالون الفخم الجميل وقد لاحت منى التفاتة الى ولى العهد فرأيته يومئ الى بالاقتراب منه . وكان الوالى سأل وحيد الدين بعض أسئلة أجاب عليها ، الا انه رأى أن يؤيد اجاباته من قبلى أيضا فدعانى اليه وقال :

— ها هو قائد حضر جملة ميادين ، يعرف البلاد معرفة جيدة فاذا شئتم اسمعوا أقواله أيضاً !

فسألت ولى العهد عن موضوع الحديث فقال لى :

— الارمن !

كان الوالى الالمانى يتكلم عن الأرمن فيذكر حسن نياتهم ويذكر تعدى الاتراك عليهم وايذائهم اليهم ، وأنهم لا يستحقون مثل هذا العمل معهم ، وعند ما علمت أن مضيفنا وهو من أكابر الولاة لدى حليفتنا وصديقتنا ألمانيا يتحدث بجد فى مثل هذا الموضوع مع سلطان تركيا المستقبل ، عجبت من هذا الامر جدا وقد قال ناجى باشا للوالى عن لسان وحيد الدين :

— هذا القائد يعرف جيدا الموضوع الذى ذكرتموه وسوف يدلى اليكم باجابات تقنعكم .

فقلت اذ ذاك :

— ان موضوع المحادثة الدائرة بين ولى عهد تركيا وبين أحد ولاة ألمانيا المتصدرين للحكم، فى منطقة لا أشك مطلقا فى أنها من أهم مناطق ألمانيا، قد حيرنى جدا. أريد أن أفهم منكم أولا أمرا واحدا. من أين طرأ على بالكم فكرة التحدث فى مصلحة الارمن الذين يدعون لهم كيانا فى أزمنة لا أدرى فى أى دور هى من أدوار التاريخ. أولئك الذين يحاولون جهدهم تضليل العالم فى سبيل احياء هذه الفكرة، ضد تركيا، حليفتكم التى ضحت بكل كيانها المادى والمعنوى فى سبيل التحالف معكم ؟

أقول الحق أننى لم استطع أن أملك نفسى عن التحدث بسخرية مع وال أدركت أنه على علم ناقص بشؤننا، مع وال يرى رغم تضحياتنا، حقا للارمن فى الارض التركية. فسارع محدثى فى الحال الى تطمينى بأن أقواله لم تخرج عن حد معلومات وصلت الى سمعه وأنه أبعد ما يكون عن الادعاء.

فقلت له رغبة منى فى قطع الحديث :

— ياحضرة الوالى، نحن هيأة حضرت الى هنا للتدقيق فى الميادين ولم نحضر هنا للتحدث فى مسألة الأرمن وانما جئنا لنتعرف حقيقة الموقف فى بلاد حليفتنا ألمانيا التى نستند عليها وقد فهمنا ما نريد أن نفهمه وها نحن عائدون الى بلادنا متزودين ببغيتنا

وهنا دعا الوالى وحيدالدين الى مائدة العشاء.

## — ١٦ —

فى مأدبة كروب :

ودعينا بعد ذلك الى مصيف صاحب معامل كروب الشهيرة وبعد تناول العشاء فى مصيفه الفخم المجاور للمصانع عدنا ليلا الى برلين

وكنا فى برلين ضيوف الامبراطور فى فندق ( آدلون ) حيث خصصوا لكل منا مكانا جميلا . وكان وحيد الدين مغرورا بهذه الوفادة، يتقابل ويتحادث مع صحفيي العالم بغبطة وسرور .

وقد قال لى ناجى باشا ذات يوم ونحن فى الفندق :

— يريد منى وحيد الدين أن أكون ياوره الخاص وأنت تعلم أنه لايروق لى خدمة القصر .

فأجبته :

— اذا كان وحيد الدين عرض عليكم هذا الامر فيجب قبوله فى الحال . ان هذا الرجل هو سلطان البلاد غداً وأنت انسان طيب القلب ويلزم أن يكون بجانبه من يوقفه على الحقائق بلاتردد . «والحقيقة أن الخدمة فى القصر من الصعوبة بمكان الا أنه فى سبيل مصلحة البلاد يهون كل صعب عسير » وقد قبل ناجى باشا هـذا الرأى ولم تتأكد رتبته الجديدة الا بعد سفرنا الى الاستانة

وقد تقدم هـذه الحادثة بعض أمور جرت . فقد كنا فى فندق ( آدلون ) وكان بعض الصحفيين طلبوا حديثاً مع ولى العهد ، وكنت حاضراً أثناء الحديث وكان ولى العهد فى أحاديثه متأثراً بالأفكار التى تشبع بها منذ قيامه من الاستانة حتى اللحظة الاخيرة . فكان يتكلم بهذه الروح مع كل من يحادثه وقد سررت فى ذلك اليوم من حديثه مع الصحفيين الاجانب .

وبعد انصراف الصحفيين بقينا وحدنا فسألنى :

— ما الذي يجب أن أفعله ؟

وأتذكر أنى قلت له :

— نحن نعلم التاريخ العثمانى وفى هذا التاريخ صفحات تسوقكم الى الاضطراب والقلق وأنتم على حق لهذا القلق . وأنا سوف أعرض عليكم أمرا وأشاركم بحياتى فى السعى فى تحقيقه فهل يسركم ذلك.

فقال لى : قل

— انتم لم تصبحوا سلطانا بعد ولكنكم رأيتم فى ألمانيا أن الامبراطور وولى العهد والأمراء جميعا فى سلك عمل واحد فلماذا تكونون بعيدين عن هذه المسائل ؟

— ماذا أستطيع أن أعمل ؟

— عند ماتصلون الاستانة اطلبوا قيادة جيش من الجيوش وأكون أنا رئيس أركان حربكم .

— قيادة أى جيش ؟

— الجيش الخامس .

كان هذا الجيش هو المنوط به الدفاع عن البواغيز وهو تحت قيادة ( ليمان فون ساندرس ) ، أو الواجب أن يكون تحت قيادته . فقال لى :

— ولكنهم لايعطونى هذه القيادة .

— أطلبوها أنتم

— عند مانعود الى الاستانة نفكر فى ذلك

وقد كانت هذه الاجابة الأخيرة تبعث الى القنوط .

*
* *

## — ١٧ —

*وحيد الدين يرتقى العرش :*

وصلنا الاستانة، غير أنى عند وصولنا شعرت باضطراب مؤلم فى جسمى وقد أخبرني الاطباء أن تعبي ناشيء عن مرض فى الكلى، فلزمت الفراش نحو شهر. الاأن مداواة اخوانى الاطباء لم تستطع أن تخفف الألم وقد تعافيت بعض الشيء ولكننى عـدت فلزمت الفراش مرة أخرى، فألح الاطباء على بضرورة ذهابي الى فينا للاستشفاء وقد رأى الطبيب الذى شخص مرضى فى فينا ضرورة بقائى فى المستشفى فتداويت نحو شهر فى (كوتاج سناتوريوم) المجاورة لفينا تحت اشراف نفس الطبيب وذهبت بعد ذلك الى (كارلسباد) بأشارته وأنا فى المرحلة الاخيرة من المرض نحو طريق الشفاء (وهنا نظر الغازى الى مفكرة جيب صغيرة) وقال وفى يوم الجمعه ٥ يوليو ١٩١٨ زارنى فى كارلسباد شخص من معارفى فى أزمير مع رفيق له آخر وأخبرانى بوفاة السلطان وارتقاء وحيد الدين العرش . وقد قالا :

— البقاء للجميع ، مد الله فى عمر السلطان الجديد

ويظهر أنه اعترانى حال غير طبيعى لانى ازاء هذا النبأ جلبت انتباه ضيوفى ، فهل كنت متأثراً أم كنت فرحا ؟ لم أستطع أن احالل ذلك تماما. والحقيقة أنى لم أتأثر لفقد السلطان الراحل ولم أكن لاهتم بطول أو قصر عمر السلطان الجديد. ولـكن هل نشأ تأثري لانى لم أكن فى الاستانة أثناء هذا التبدل . هذا ما لا أستطيع البت فيه وانما اذكر أنه مرت فترة على من فترات الذهول اذ ذاك .

وفى ظرف بضعة أيام وردت المعلومات الوافية فهنأت وحيد الدين بالتلغراف وورد لى الجواب .

وقد علمت من الانباء التى وصلتنى أن عزت باشا عين ياوراً للسلطان الجديد وقد وجدت هذه الحادثة ذات معنى ، لأن عزت باشا كان بهذه الوظيفة الجديدة أصبح مشاورا عسكريا أو رئيس أركان حرب أكثر من أن يكون ياوراً فحسب. وبعد أيام أخذت برقية من ياورى جواد عباس بك يطلب فيها عودتى الى الاستانة ولما كنت لم أتماثل للشفاء تماما لم أشأ أن أعود الى الاستانة مالم يكن سبب جدى يدعو الى ذلك . فكتبت الى جواد عباس بك بذلك فأخذت منه برقية ثانية يقول فيها : (مرغوب فى عودتكم سريعا)

ففهمت اذ ذاك من الراغب فى عودتى وقت من ( كارلسباد ) يوم السبت ٢٧ يوليو سنه ١٩١٨.

## — ١٨ —

**الوداع بعد مقابلة غير مجدية .**

« وكنت عازما على الاستمرار فى طريقى دون الاقامة فى فينا لحظة واحدة غير انى أصبت اذ ذاك بمرض سار مهلك أى بالوافدة الاسبانيولية فاضطررت للبقاء مدة فى فينا.

وعند ما قابلنى جواد عباس بك فى الاستانة قال لى ان الذى أخبره بضرورة عودتى الى الاستانة هو السر ياور عزت باشا .

فاخطرت عزت باشا بعودتى . وأذكر أننى تقابلت معه فى دائرتى الخاصة بفندق (بيرابالاس) وكنت متطلعا بشوق زائد الى معرفة السبب فى دعوتى، فأخبرنى أنه ليس هناك سبب ما الا أنه يعلم انى كنت على اتصال وثيق بالسلطان أثناء سياحته أيام أن كان وليًا للعهد ورأى أن تكرار هذا الاتصال قد لا يخلو من الفائدة وبعد أن شكرته على تذكره أياى قلت :

ـ يجب على كل الاحوال تسيير السلطان فى وجهة جديدة لازالة ما اعترى الموقف العام من الارتباك الوخيم. فهل تجدون من المناسب مقابلتى له للتكلم معه من هذه الوجهة ؟

فقبل ذلك وطلبت فى الحال ميعاداً للمقابلة بواسطة ناجى باشا ووصلنى جواب الرضى بالميعاد المحدد للمقابلة .

دخلت صالون السلطان الجديد وحيد الدين بعد مفارقتى له ببضعة أشهر . وأول فكرة ساورتنى اذ ذاك هل يكون الشخص الذى تحادثت معه كثيرا بوضوح وصراحة قبل ارتقائه العرش وقبوله وجهة نظرى ، هل

يكون هذا الشخص متسامحا معي الى حد الرضى بالتحدث معه بنفس الصراحة بعد توليه الحكم؟ هذا ما كان يتردد فى النفس

وهكذا وانا تحت عوامل هذا التردد تقابلت وجها لوجه مع السلطان وحيد الدين:

يجب أن أذكر هنا أنه قابلني ببشاشة زائدة وكان يظهر اهتماما بي أكثر من الاهتمام الذى أظهره أثناء أن كان وليا للعهد فجلس وأشار الى بالجلوس ثم اخذ لفافة من المنضدة الصغيرة الموضوعة أمامه وناولها لى وتناول هو لفافة أخرى بعد ذلك ثم أشعل لفافته ومد الى الكبريت الذى أشعل به لفافته. فتفاءلت من هذه المقابلة وقوي الأمل فى نفسى وقدمت اليه التهنئة بلسان مناسب وقلت له وأنا اذكر ارتقاءه عرش آل عثمان فى أخطر الأزمان:

— كنت قد أدليت بافكارى أثناء سياحتنا بصراحة وجلاء فهل تسمحون لى بالتكلم فى هذه الدقيقة بنفس تلك الصراحة؟

— نعم، نعم، أنا فى الانتظار.

فأخذت أشرح له أفكارى باسهاب وكانت النقطة الأساسية فى مطالباتى: «تقلدوا فى الحال القيادة العليا بنفسكم وعينوا لكم رئيسا لاركان الحرب بدلا من الوكيل، اذ يجب قبل كل شيء الاستحواذ على ناصية الامر فى الجيش وبعد ذلك يمكن تطبيق القرارات الصائبة التى يمكن التفكير فيها»

وعند ما عرضت عليه هذه الفكرة أطبق عينيه كما فعل عند أول مقابلتى له فى قصره الذى كان يقيم فيه أيام أن كان ولى العهد ثم اجابنى قائلا بعد ذلك:

— هل هناك رؤساء عسكريون يفكرون مثل ماتفكرون ؟
— نعم يوجد .
— انفكر فى الامر
وكان حديثنا قد انتهى بطبيعة الحال فاستأذنت وانصرفت .
وبعد أيام أبلغنى ناجى باشا برغبة السلطان فى مقابلته لى مع عزت باشا . وقد كنا نحن الاثنين فى حضرة السلطان وظننت أنه يرغب فى استماع حديثنا معاً فى نفس الموضوع والفكرة ولذلك جعلت همى أثناء الحديث السير فى تتبع وجهة نظرى ولكننى لم أستطع أن أحول مجرى الحديث من الموضوعات العامة . كان وحيد الدين فى حالة احتراز شديدة وفى النهاية انصرفنا من حضرة السلطان بمقابلة غير مجدية .

— ١٩ —

محادثة ذات بال :

« مضت الايام ، وأردت أن أتقابل مع السلطان مرة أخرى على انفراد فأسعفنى بهذه الرغبة هذه الدفعة أيضا . وقد بدأت حديثى معه بلا مقدمة فى نفس الموضوع ، بحالة رجل يصر كل الاصرار على وجهة نظره ، فأجابنى السلطان بتبدل فجائى :

— ياباشا انى مضطر قبل كل شىء للتفكير فى إيجاد القوت الضرورى لأهل الاستانة ، اذ انهم يعانون الآن ألم الجوع ، وكل تدبير قبل الوصول الى هذا الغرض ، يكون عقيما لا يجدى .

وقد أغمض عظمة السلطان عينه فى نهاية هذه الجملة . أما أنا فقد اقتنعت متأثرا بأنى أمام شخصية متلاعبة ، تروغ كما يروغ الثعلب ، مما كنت

أشاهد مئات من أمثالها فى كل يوم . وما فكرت فيه اذ ذاك هو أن عظمة السلطان يريد أن يفوز بثقة الشعب فى الاستانة ، ويبحث عن نقطة الاسناد والقوة لمشروعاته التى يتوخاها مستقبلا فى هـذه المدينة. ولـكننى عدت فقلت فى نفسى : هل يمكن الوصول الى هذه الغاية دون اصلاح الحالة العامة ، على فرض ان الفكرة صائبة من الوجهة السياسية ؟ ولذلك لم أتمالك من ابداء فكرة أخرى فى الموضوع ، فقلت :

— إنكم على صواب فيما تفكرون به ولـكن التدابير والمساعى التى يجب الاخذ بها لتموين الاستانة ، لا تمنع عظمتكم من التدابير المبرمة العاجلة التى يجب الاخذ بها لانقاذ جميع المملكة . فان المساعى التى تبذل فى سبيل سلامة الهيأة العامة لا تتأتى الا بتدوير الدولاب العام وما لم يدر الدولاب العام ، فلا يمكن الاستفادة بجزء من أجزائه . وإنى واثق من صحة ما أقوله وربما تعتبرون فى أقوالى شيئا من التطاول ، غير أنى مضطر الى القول بأن أول عمل من أعمال السلطان الجديد يجب أن يكون مستندا على القوة . فان القوة ، التى تذود عن الدولة والامة وجميع الحلفاء ، اذا كانت فى يد الغير لم تخرج سلطنتكم عن حد أنها سلطنة اسمية .

« وانى على ثقة بأنى لم اكن كثير التروى فى أقوالى وقد كان من أقواله فى اجابته لى هذه الجملة :

— لقد تذاكرت مع طلعت باشا وأنور باشا فيما يجب عمله .

« قائل هذه الكلمات هو وحيد الدين ، الذى أفهمنى منذ شهر، أيام أن كان وليا للعهد ، أنه متنفر من طلعت باشا وأنور باشا ، ساخط على أعمالهما التى ليس من ورائها سوى الخراب والدمار .

أما وحيد الدين الخليفة والسلطان فقد تذاكر الآن مع هذين الرجلين فيما يجب عمله لانقاذ المملكة أى أن وحيد الدين يريد أن يقول :

— « أتريد أن تتداخل معى فى أمر هو فوق وظيفتك واختصاصك؟

لقد انتهى واجبى الوجدانى ازاء وحيد الدين بعد أن فهمت هذه الغاية فوقفت مستأذناً فى الانصراف وأغمض هو عينه ومد يده دون أن يلفظ كلمة واحدة

وعند ماخرجت من الصالون ظهر لى أن ناجى باشا قرأ فى عينى معانى التأثر، الا انى ابتعدت دون أن ينبس أحدنا ببنت شفة . ووصلت الى دائرتى الخاصة فى بيرابلاس واستغرقت فى التفكير . قد خاب الظن ، وطاش السهم فلم يبق الا السعى فى تدبير آخر وهكذا مضت أيام أخرى ولما كنت لا أرغب فى مباغتة أحد قبل الاوان فقد كنت أحضر حفلة ( السلاملك ) أيام الجمعة فى الجامع الذى أنشأه السلطان حميد فى يلديز ، وآخذ مكانى بين قوات الجيش فى تلك الحفلة الرسمية .

— ٢٠ —

مع قواد الالمان

وفى ذات يوم ، قبل الصلاة كنا ننتظر ميعاد الصلاة فى لفيف من القواد فى صالة واحدة ، بينهم أنور باشا وكيل القائد العام، وعزت باشا ووهيب باشا ، وغيرهم من كبار القواد الذين حضروا معارك حرب البلقان واذا بناجى باشا يخبرنى برغبة عظمة السلطان فى مقابلته بصالونه الخاص بعد الصلاة فسألته

— هل هو على انفراد ؟

— كلا . معه جنرالان ألمانيان .

— اذن أرجوك أن تسعى فى أن تكون مقابلتى مع عظمته على انفراد بعد خروجهما .

— لقد أردت ذلك أنا أيضا وعرضت على مسامع عظمته هذه الامنية بضع مرات ولكننى فهمت أنه مصر على قبولكم فى حضور هذين الجنرالين

— اذا أمكنكم أعيدوا الكرة فى هذا السعى .

ولقد بذل ناجى باشا ما فى وسعه بل همس فى أذن السلطان انه من الأنسب قبولى بعد انصراف الجنرالين، فأخبره انه بالعكس يريد مقابلتى وهما فى حضرته فأدرك ناجى باشا أن للسلطان غرضا خاصا فى ذلك وأفهمنى بما حدث .

مثلت بين يدى وحيد الدين فما أحسنه مقابلة! وما ألطفه مجاملة : فقد ارتجل خطبة قصيرة ، وهو على قدميه لم يجلس بعد ، وكانت عيناه مفتوحتين هذه الدفعة . وقدمنى الى القواد الالمان بقوله: «ها هو قائد أركن اليه وأقدره كثيرا »

فجلس ، وجلسنا بعده وهو يقول :

— قد عينتك قائداً لسوريا، فان الحالة هناك تشتد خطورة فيقتضى ذهابكم اليها. وما أطلبه منكم هو أن تحافظوا على تلك الجهات فلا تدعو سبيلا لوقوعها فى ايدى الاعداء . وانا واثق تماما بحسن قيامكم بهذه المهمة فيجب سفركم فى الحال.

وبعد أن بلغنى ارادته التفت الى القواد الالمان فقال

— هذا القائد يستطيع أن ينفذ أقوالى

وفى الظاهر أن هذه الارادة رعاية سامية ، ولو أن أحمقا مكانى لاغتبط بهذا العطف، أما أنا فتأثرت لتيقنى باننى أمام رجلا متلاعب . وقد فكرت

وأنا فى ذلك الموقف أن أقول له . « يامولاى السلطان ، قد عهدتم الى بمهمة هى من اختصاص القواد الموجودين على رأس تلك الوظيفة . فهل تقصدون تعيينى لرئاسة هؤلاء القواد ؟ إذ كان الامر كذلك فسوف أصدع لأمركم بكل فخر وسرور. ولكن مما لاريب فيه أنه قد فاتكم أنكم تكلون الى قيادة جيش مهزوم كباقى الجيوش ، قيادة جيش سبق أن استقلت منه لاسباب أنا على حق فيها ، فكيف أستطيع اذن القيام بتنفيذ هذه الواجبات التى تطلبون منى القيام بأعبائها ؟ »

ولكننى كنت قانعاً فى نفسى أنه من العبث مناقشة مخاطبى على هذه القاعدة ، فاكتفيت بطلب الاذن والانسحاب إلى القاعة التى كنت فيها حيث تقابلت مع وجه أنور باشا الكثير الابتسام . فقلت له :

— مرحى انى أهنئك فقد انتصرت .

ثم أضفت إلى هذه الجملة هذه الاقوال بشكل جدى :

— لا أقل يا عزيزى من التكلم فى التدابير المعقولة . على ما أرى وأفهم، أن الجيش والقوة والحالة فى سوريا ، كلها مظاهر اسمية وارسالى الى تلك الجهة انتقام بديع : ثم انكم خالفتم الاصول المرعية فبلغتم الى الامر على لسان عظمة السلطان نفسه .

وكان أنور باشا يضحك ... وكذلك وهيب باشا ... أما الاشخاص الآخرون فكانوا على حالتهم الاولى الدالة على عدم الشعور والادراك بالحقيقة وكان فى زاوية من القاعة قواد حرب الاناضول الذين أشرت اليهم سالفاً ، يتحادثون بحماس فيما بينهم وكان قائد كبير يقول :

— لاخير فى الجنود الاتراك ، هؤلاء قطيع من الحيوانات لايعرفون سوى الفرار ، أبتهل الى الله ألا يبتلى قائدا بهذا القطيع العديم الاحساس ، فنسيت إذ ذاك حالى والتفت اليهم وخاطبت ذلك القائد المتحمس فى الحديث بقولى :

ياسيدى الباشا ، نحن أيضاً جنود ، ونحن أيضاً رجال تصدروا لقيادة هذا الجيش . ان الجندى التركى لايفر ولايعرف معنى الفرار . فاذا رأيتم فرار الجندي التركى فيجب أن تعترفوا فى الحال ، ان أكبر قائد على رأسه قد فر . وإذا أردتم أن تحملوا ذلة فراركم للجنود الاتراك فانكم لم تعدلوا ولم تنصفوا .

وكان القائد الذى أحدثه لا يعرفنى أو يتظاهر بعدم معرفتى فوقف لحظة وسأل الذين على يمينه وعلى يساره : « من هذا ؟ » فدار التهامس فى الغرفة وعرف الرجل مخاطبه من هذا الهمس ثم ساد سكون عميق .

فى معسكر الجيش السابع

كنت فى معسكر نابلس، قائدا للجيش السابع ، للمرة الثانية ، وكان أول عمل لى هو تدقيق الحالة والتجول فى الجبهة برحلات متعبة وأسفار شاقة . وقدخرجت من هذا التفتيش بعقيدة ثابتة هى أن الامر انتهى ، وانه من الصعوبة بمكان الاهتداء الى تدابير أساسية لمنع المصيبة القريبة الوقوع

« كان يوجد ثلاثة جيوش فقط على جبهة تمتد الى مئات الكيلومترات وليتها جيوش قوية ، بل جيوش اسمية مفككة الاوصال ضعيفة ، مبعثرة هنا وهناك ... فماذا يكون الحال ! وما فكرت فيه قبل قيامى من الاستانة [illegible] هذه الحالة الداخلية فى الحقيقة ، أى تكون كتلة كثيفة

من هذه الجيوش المتعددة أصغر حجما ولكنها أشد بأسا وما دمت قد تعينت انا لهذه الجهة فقد أعلمت أولى الشأن قبل قيامى من الاستانة ، ارتكانا على ما فى نفسى من عزيمة وارادة ان هذه القوة التى اقترحت تكوينها يجب أن تكون تحت أمرتى . الا أن اقتراحاتى التى عرضتها من هذا القبيل كان نصيبها الهزء والسخرية .

« وقد أخبرتكم أنى فارقت كارلسباد قبل أن أتماثل تماما للشفاء ، فالمتاعب التى استهدفت لها سواء بعد وصولى الى الاستانة وسواء أثناء سفرى الى المعسكر ، لاسيما رحلات التفتيش التى قمت بها بشكل متواصل وفى مدة قصيرة فى الجبهات ، كل ذلك سبب لى أن أنتكس وأن ألزم فراشى بعد قيامى من الاستانة بخمسة عشر يوما .

« وذات يوم كان رئيس أركان حربى يقرأ على تقارير اليوم كالمعتاد وكانت تقارير عادية كالتقارير التى تصلنى فى كل يوم ... غير أن مسألة واحدة لفتت نظرى من بين تلك التقارير وهى افادة أحد الاسرى الانجليز ... أستنتجت من افادة ذلك الاسير أن الانجليز سيقومون بهجوم شامل على كل الجبهات بعد يوم أو يومين فقلت :

— أريد أن أرى أركان حربى مجتمعين بعد قليل .

وقد قمت من سريرى وارتديت ملابسى فذهبت الى غرفة العمل ، وهناك كتبت أمراً حربياً قلت فيه : ان العدو سيقوم بهجوم عام مساء يوم ١٩ ديسمبر ، وذكرت فى الامر التدابير التى يجب على جيشى أن يتخذها

وقد أرسلت صورة من هذا الامر الى قائد الفيالق العام ( ليمان فون ساندرس ) باشا المعلومية . وكان هذا الرجل الذى أحترمه كثيراً استبعد

النتيجة التي استخرجتها من التقارير ولم يتمالك من الضحك ، غير أنه لم يشأ أن يتداخل في شيء من هذه الترتيبات ، بفكرة أن الاحتياط لا يجلب ضرراً .

وقد كنت أدركت ما سوف يصيب استنتاجاتي من سوء التفسير ، ولذلك كنت أتتبع بانتباه حركات العدو في التاريخ الذي عينته وفي ليلة ١٩ـ٢٠ ديسمبر . طلبت قائدي الفيلقين ( عصمت باشا وعلي فؤاد باشا ) الى التليفون وسألتهما :

— هل وصلكم أمري وهل اتخذتم التدابير اللازمة لذلك ؟

فأجاباني:

— نعم لقد عملنا باشارتكم .

وقبل أن أنتهي من حديثي ، بدأت مدفعية العدو ترمي خطوطنا الامامية بقذوفاتها . وقد انقضى الليل بأكمله في حرب عنيفه ، وانثلمت صفوف الجناح الايسر لجيشي ووقع في الاسر ، ومرت خيالة العدو من هذه الجبهة المصدوعة واستمرت في السير حتى وصلت الى معسكر (فون ساندرس) وقد اتضحت الحقيقة اذ ذاك ولكن بعد فوات الاوان

في دمشق بعد الهزيمة

وقد استطعت أن أتقهقر بجيشي الى دمشق بعد اجتياز الانهر واختراق الصحاري في مشقات وأهوال قد يطول شرحها . وعندما عسكر الجيش في جوار دمشق للاستراحة . دخلت المدينة في نفر من معيتي فوجدت في الشام حالة غير طبيعية وقد كان من الصعب ادراك ما ينطوي تحت هذه الحالة من المعاني ولما كنت أعرف الشام معرفة تامة وقد كانت

أول منفاى عند ما تخرجت من المدرسة برتبة يوزباشى ، أدركت بسهولة ان المدينة يسود فيها جو الكراهة ضدنا

ظننت انى سأجد (ليمان فون ساندرس) فى دمشق غير أنه كان قد غادرها وترك لى أمرا مع رئيس أركان حربى — سداد بك — الذى أرسلته اليها قبلى، يقول لى فيه بترك جيشى الى (جمال باشا المرسينى) للدفاع عن الشام، وأن أتوجه فى الحال فأجمع القوات الموجودة بجوار (رياق) بلا قيادة ، لقيادتها

فذهبت توا الى فندق (فكتوريا) وقد كان مركزا لقيادة الجيش الرابع وتقابلت مع جمال باشا وقد كانت وصلته تعليمات مثلى فى هذا الشأن فسلمته قوات الجيش السابع بأكمله بعد اسناد قيادتها الى عصمت بك أحد القائدين اللذين كانا تحت امرتى وفى نفس الليلة توجهت الى رياق بقطار خاص بعد أن طلبت من قائدى الثانى على فؤاد باشا بأن يلتحق بى فيما بعد .

فى معسكر رياق

تقابلت فى (رياق) مع فون ساندرس. وقد أراد أن يسلمنى القوات الموجودة هناك ، وأذكر أننا دخلنا معسكر فيلق المانى ، يسمى (فيلق (آسيا ، تحت قيادة أميرالاى المانى. وقد كان مركز قيادة الجيش فى مدرسة (تفنابل) الزراعية وهى فى بناء عصرى جميل . . . . وأذكر أن الميرالاى الالمانى أكرم وفادتنا أولا باقداح من الجعة المثلجة ثم اخذ يشرح على الخريطة لفون ساندرس موقفه الذى اراد ان يشرح بأطناب حسنه رغم كل ماحدث . وبعد أن أتم الميرالاى أقواله قلت :

— هل هذا الشخص أصبح تحت قيادتى ؟

— أجل

— اذن ياحضرة الميرالاى خبرونى عن مقدار القوة الباقية تحت قيادتكم وعن حالتها ومكانها ؟ فتوقف الميرالاى قليلا عقب سؤالى ثم قال:

— لا أستطيع ان أجيب على سؤالكم بعد اجابة قاطعة لان الحالة ملتبسة بحكم الحركات العسكرية

فقلت له :

— ياحضرة الميرالاى ، هنالك وطن على وشك الخروج من أيدينا. والذين أخذوا على انفسهم مسئولية الدفاع عنه لايستطيعون تهيئة وسائل الدفاع على اساس من الشك والالتباس . فأنا مضطر الآن الى ابداء قرار حاسم فالى أى حد أستطيع الاستناد اليكم هل تسمحون بافادتى عن ذلك ؟

وقد كان الميرالاى عاقلا رزينا فلم يمتنع عن التصريح بالحقيقة بعد أن فكر قليلا ، اذ قال لى :

— ياسيدى ، الأصوب أن نقبل أنه ليست ثمة قوة نستند عليها فى اصدار قرار ما .

— أى انى الآن لاأجد أمامى سوى حضرة الميرالاى ومعيته ، لا اكثر ولا أقل . . .

— هذه هى الحقيقة

— اذن هيابنا نعود الى معسكراتنا .

وقد كان معسكرى فى ( رياق ) ومعسكر ( فون ساندرس) فى ( بعلبك ) . وقد لاحظت أنه لم يبق فى جوار ( رياق ) سوى فلول من الجيش ، فى حالة ارتباك واضطراب ، فاقد لكل قواه المعنوية . فجمعت الأنفار فى الحال بواسطة ضباط اعتمد عليهم ، ثم أخذت فى ترتيب شملهم

وتنسيقهم . وبينما كنت مشغولا بهذا الأمر أصدرت أمراً باحراق محطة (رياق) ونسفها تماماً . وقد أخبروني أثناء حرق المحطة أنهم رأوا قواداً من الجيش عبروا الى الشمال ممتطين الخيول ففهمت أن القائد الذي وكلت اليه قيادة الجيش في الشام للدفاع عنهـا قد تركها . ثم أخبروني أيضاً أن قائداً من قواد الفيالق التي اضطرت الى التسليم للاعداء حضر الى (رياق) ولا أنس مطلقاً أني طلبت هذا القائد وقتئذ وقلت له :

— انتم تركتم فيلقكم وذهبتم الى بيروت ومن هناك حضرتم الى بالقطار الذي أرسلته . الفيلق جزء تام من الأجزاء في الجيش باعتبار القوة والمدد وقائد الفيلق الذي يترك جيشه في أيدي العدو ويتشبث في انقاذ شخصه ، دون أن يحاول انقاذ نفر واحد من انفار القوة التي بيده ، مثل هذا الشخص في مثل هذه الحالة تكون الظروف ضده ، مهما كانت لديه من اسباب ومبررات . وانا الآن أريد أن أؤدي لكم خدمة وانما بشرط واحد : هل لديكم القوة المعنوية الكافية للقيادة بعد ؟

فأجابني بعد تفكير قليل :

— نعم لدي هذه القوة .

— اذن اذهبوا الى زميلكم فؤاد باشا الذي ينتظر الآن في بعلبك فأني سأكل اليكم غداً قيادة قوة أخرى . ويجدر بي أن أذكرهنا أن هذا الشخص غادرني ولكن ليس الى بعلبك ولكن الى الاستانة .

وفي تلك الليلة ، تكونت في نفسي هذه العقيدة : لم تبق هناك رئاسة ولا قيادة في كل الجبهات وعلى جميع القوات . فأصدرت أمرا يكاد يكون جنونيا . والنقط الاساسية في هذا الامر هي :

« جميع القوى التى فى دمشق تكون تحت أمر ( عصمت بك )[1] الذى تركته هناك. والقوى التى تحت قيادة على فؤاد باشا فى جوار رياق تتحرك جميعها الى الشمال »

وقد ارسلت نسخة من هذا الامر الى ( فون ساندرس ) قائدجميع القوات العلومية وقد أحدث هذا الامر تذمراً ضدى . وكثر الناقدون القائلون :

— من هذا الرجل ؟ وما هذه الاعمال ؟

وكنت أنتظر هذه النتيجه ولما كنت واثقا من أستطاعتى شرح ماهية هذه الاعمال، فقد وصلت الى بعلبك مخترقا نيران الاهالى. بعداحراق محطة ( رياق ) وبعدأن أفهمت على فؤاد باشافى ( بعلبك ) بوجوب تنفيذ الأمر الصادر اليه بشأن الانسحاب الى الشمال. ذهبت الى (حمص ) حيث يوجد (فون ساندرس ) . وكان الوقت ليلا ، فأفهمته بلسان الاخلاص أن هذا القرار هو الواجب اتخاذه ازاء الحالة فى ذلك الظرف العصيب فأجابنى (فون ساندرس) بشهامة:

نعم — هذا هو القرار ولكننى رجل أجنبى عن البلاد فلا أستطيع أن أقره . مثل هذا القرار يصدره الرجال اصحاب البلاد ، فقلت له .

اذن فالقرار سينفذ . فاجابنى .

— وانما أرجوكم اقناع رئيس أركان حربى أيضا .

وكان رئيس أركان حرب (فون ساندرس )،هو كاظم باشاالديار بكرى

---

(١) هو عصمت باشا رئيس الوزارة التركية الآن

وكان مريضا طريح الفراش فذهبنا الى غرفته أنا وفون ساندرس وأفهمته ما يجب أن يفهمه، فاقتنع فى الحال وأصبح فون ساندرس وأركان حربه ، متفقين معى فى الفكرة. فكانت خطتى العملية هى أنه لم يبق فى الميدان سوى اسم الجيش السابع وأنقاض وفلول. فيقتضى جمع هذه الفلول فى حلب ، شمال سوريا والتفكير بعد ذلك فى قرار جديد . وتعهدت شخصيا بتنفيذ الخطة وقد قبل فون ساندرس باطمئنان اقتراحى هذا

— ٢٣ —

المعارك الدموية فى شوارع حلب

جمعت القوات التى أشرت اليها فى حلب . والقائد الذى تركته فى الخطوط الامامية، هو قائد الفرقة كاظم بك ( كاظم اشا الآن ) والجناحان كانا تحت قيادة كل من عصمت باشا وفؤاد باشا

وعاد إلى مرضى السابق فى حلب بسبب المتاعب المستمرة، فتداويت بضعة أيام . وعند ما تعافيت قليلا وتركت فراش المرض ، ذهبت الى مركز قيادتى فى فندق ( بارون ) . وكنت فى الفندق وبجانبى البكباشى الفخرى تحسين بك والى حلب، فوردت الينا أنباء مهمة عن احتلال حلب من الجبهة الشرقية، ففضلت أن أذهب بنفسى الى مكان الحادثة لتحقيق هذا الخبر الدال على نكبة قريبة الوقوع . وكان معى فى السيارة ياورى جواد عباس بك ، وتحسين بك الوالى ، فوصلنا بالسيارة الى جموع متكاثفة عند مدخل المدينة من ناحية الشرق ، وكانت هذه الجموع شرذمة من العربان والبدو بملابس عسكرية. فأدركت أننا وقعنا فى الاسر، اذ لم يكن معنا نفر

واحد من الجنود وأحاط البدو بالسيارة من كل النواحى وتعلقوا بأطرافها من كل جانب ولما رأيت تهافتهم علينا أمرت السائق بالوقوف فوقف . ثم أمسكت بيدى السوط الذى ناوله لى الوالى وقمت واقفاً وخاطبتهم بلسان يفهمونه قائلا :

— أين رئيسكم ؟

فأجابونى :

— كلنا رئيس

وكان الموقف يقضى باتخاذ قرار حاسم فى الحال ، فرفعت سوطى وبدأت بالضرب ذات اليمين وذات اليسار وأنا أصيح فيهم :

— الى الوراء ، الى الوراء

فانصاعوا لهذا الامر وتزحزحوا قليلا ، فقلت :

— ليأت إلى رئيسكم .

فحضر رئيسهم فى الحال فقلت له :

— لقد تغلبت على الموقف الذى ساعدتم فى احداثه، فالكل أصبح مغلوباً ولكننى ألتمس لكم العذر فى اشتراككم ، احضر عندى الليلة حيث أريد أن أحدثك فى بعض الشئون

فقال لى الرجل :

— سمعاً وطاعة

وأمرت السائق بعد ذلك بالعودة سريعا فعاد بنا الى حلب، ورجعنا الى مركز القيادة. وبعد قليل حضر عندى شيخ العربان فقابلته بالرسميات التى يفهمها ويألفه .

— ماذا تطلبون منى ؟

فأجاب :

— ما نطلبه الآن الف ليرة ذهبا والسلاح والذخيرة

فأعطيته الذهب فى تلك الليلة ووعدت أن أمده بالسلاح والذخيرة

وفى اليوم التالى كنت متمدداً على فراشى فى مركز القيادة، فسمعت جلبة وضجة ، حيث اشتعلت نيران الفتنة فى حلب ،فصعدت الى (البلكون) ونظرت الى الشارع فرأيت الناس فى هيجان وحالة اضطراب وهجوم على الفندق مسرعين نحوى ... فأدركت خطورة الموقف وسعيت أولا فى دفع الناس الى خارج الفندق بسوطى. وعند مانزلت الى الشرفة التى فى الطابق الأسفل، أعطانى قائد حلب تقريراً لم يستطع قراءته لفرط تأثره واضطرابه. فتلوت التقرير فى هدوء وسكون . وفهمت منه أن المدينة أصبحت معرضة للهجوم

على مسيرة خطوات من المنعرج الايمن للفندق الذى أقيم فيه ، ميدان صغير، تتفرق عنده أربع طرق ، فوصلت الى هذه النقطة وكنت قد حصنت جميع الطرقات. وكانت بعض القنابل التى تقذف من سطوح بعض المنازل تنضم الى القنابل التى ترميها طيارات العدو . وهذه الحالة أضحكتنى ، لأنى كنت أفكر فى الدفاع عن حلب . وكان الوقت مساء فرأيت جثث بعض الناس على بعد خطوات من النقطة التى وصلت اليها . كان هؤلاء التعساء قد هاجمونى ظناً منهم أنى على انفراد . لقد قمت فى حلب بادارة معارك الطرقات والأزقة . وكان سائق السيارة منتظراً على مقربة من النقطة التى أدرت فيها المعركة، فأشرت اليه بالاقتراب فاقترب . وقبل أن أركب السيارة أعطيت أوامرى وتعليماتى لقائد حلب . والنقطة

السرية فى هـذه التعليمات كانت هـذه : ( سأسحب هـذا المساء القوات الموجودة فى النقط الامامية لحلب وسأحارب الانجليز والعرب غدا فى الشمال الغربي للمدينة فتدبروا فى أمركم وفقاً لهذه الحالة )

وقد تمت الوقائع كما كنت أرجو فان العرب والانجليز الذين ظنوا تقهقر جنودى. بدأوا الهجوم مغتبطين ثم قهروا وانهزموا بموجب الخطة المدبرة من جهتنا وقد كان من نتائج هـذا الانتصار أن أثبت هناك خطاً وأصدرت الامر الى جنودى بأن عليهم الثبات فى هذا الخط وألا يجعلوا سبيلا لاختراق العدو منه وقد كان.

## — ٢٤ —

### الخط الذى أثبتناه بقوة السلاح

وعند ما اضطر الحال سواء فى مؤتمر (أرضروم) أم فى مؤتمر (سيواس) للاستناد على اصطلاح مدنى لتخطيط الحدود القومية لتركيا ، قبلت أنا اذ ذاك هذا الخط الذى أثبتته سيوف الاتراك . وتعلمون أنى لم أتمكن من تنفيذ ميثاقنا القومى أخيراً الا فى أنقرة . وقد أراد بعض الاشخاص الغير الواقفين على الحقيقة ، أن يتداخلوا فى الامر ، فذهبوا مذاهبَ شتى فى التأويل والتفسير كلما عرض موضوع الحدود القومية على بساط البحث. واعترف انى أنا أيضا سميت فى تعريف الحدود الملية وفقا لقواعد (ويلسون) التى ترمى الى غاية انسانية

وأصرح الآن انى استناداً على تلك القواعد الانسانية دافعت عن الحدود التى خطتها سيوف جنودنا الاتراك .

رحماك ياويلسون كأنك لم تدرك أن الحـدود التى لا يدافع عنها

السيف أو القوة أو الشرف أو العزة، لا يمكن الدفاع عنها بأي نظرية أخرى !

— ٢٥ —

*فى أطنة : مركز قيادة جيوش الصاعقة*

فى الأيام التى كنت أثناءها فى حلب، أخذت أكون لنفسى فكرة عن حالة البلاد من الوجهة العامة . وما وصلت اليه هو ما يأتى : نحن وحلفاؤنا أضعنا الصفقة ، غير أن أهم مسألة بالنسبة لتركيا هى أنها تكاد تصل الى حد ضياع كيانها كاملا وأجدر شىء بالتفكير فى تلك الآونة ، هو أنه لا سبيل الى اكتساب الصفقة التى لاريب فى ضياعها ، غير أن الواجب يقضى بألا نتردد لحظة واحدة فى السعى لايجاد الوسائل المؤدية الى انقاذ كياننا . بل انه من المحتم أن نشرع فى التدابير اللازمة لذلك « ولو أدى الامر الى انفصالنا عن حلفائنا » ولكنه من العبث أن يرجو الانسان مثل هذه الخطة من الوزارة الحاكمة إذ ذاك، والتى أوصلت الحرب إلى هذه النتيجة. فأيقنت أنه يجب فى الحال اسقاط تلك الوزارة وتأليف وزارة أخرى مكونة من رجال أعرفهم وأثق أنهم قادرون على تنفيذ الخطة اللازمة. وأضيف على أقوالى أنى فكرت أيضاً أنه لامكان تنفيذ ما يجول فى نفسى من الآمال يقتضى أن أكون فى هذه الوزارة القائد العام لجميع الجيوش فى تركيا

ولما كانت الحالة فى أشد الخطورة والتدابير التى يجب الأخذ بها تقتضى أن تكون جدية وسريعة ، فقد أعربت للسلطان وحيد الدين عن هذه الملاحظات تلغرافياً ، وذكرت فى رسالتى هذه أن من رأيى اسناد رئاسة الوزارة الى عزت باشا وعينت أسماء بعض الاخوان للوزارات الاخرى، وطلبت بصراحة واخلاص فى نفس البرقية أن تسند الى وزارة الحربية ،

وأرسلت الى الاشخاص الذين رشحتهم بأسمائهم، أذكر لهم مآل ما أعربت عنه للسلطان بهذا الصدد .

ولم يمض زمن طويل حتى سقطت وزارة طلعت باشا وتألفت وزارة تحت رئاسة عزت باشا ولا أستطيع أن أقول شيئاً عما اذا كان للوزارة الجديدة وتأليفها، علاقة ما بالرسالة التي أرسلتها للسلطان. وانما رأيت ان أهم أركان الوزارة من الاخوان الذين نوهت بأسمائهم في البرقية التي رفعتها .

وبعد تأليف الوزارة الجديدة ، أذكر أني أخذت برقية من عزت باشا تنتهي بالجملة الآتية . « ومأمول من الألطاف الربانية رفاقتكم لنا بعد الصلح »

وفي اجابتي عن هذه البرقية بينت له اني لما أيقنت بأن الصلح بعيد الأمد وأن البلاد ستتمخض في شدائد واضطرابات عديدة وتعاني أزمات خطيرة الى حين انعقاد الصلح ؛ ولاعتقادي بأنه في الامكان أداء خدمات جدية للوطن في هذا الظرف العصيب، طلبت اسناد منصب وزارة الحربية الي. والا فانني اعلم تماماً بأن هناك من الرجال من هو أكفأ مني لادارة هذه الوظيفة عند انعقاد الصلح والتفيؤ بظلال السكون والدعة. ومن أجل ذلك لا أرى ضرورة لرفاقتنا بعد الصلح بتاتاً .

— ٢٦ —

*ذكرى تؤيد الذكرى*

قال محرر الصحيفة التي نقلنا عنها هذه المذكرات .

« وعند ما كنا نقيد ما يمليه علينا الغازي من خواطره عن حوادث حلب كان بين الحاضرين في قاعة الاستقبال، علي جناني بك وزير التجارة فقال:

— أتسمحون لى ياسعادة الباشا بأن أذكر أنكم أول من أشار فى تلك الآونة بتأليف الفرق القومية للدفاع ؟

وهنا ذكر على جنانى بك فى أنه أثناء سفره فى تلك الآونة من الاستانة الى (عينتاب) تقابل مع الغازى فى محطة (قاطمة)، وقد سأله الغازى المقيم فى معسكره الكائن فى بناء المحطة من أين حضر والى أين هو ذاهب فأجابه جنانى بك :

— لى أخت وأقارب فى (عينتاب) وقد بلغنى أن ولاية (عينتاب) ستنقل الى مرعش وأن الرعاع وصلوا الى جوار المدينة وبدأوا فى السلب والنهب . وعندما ينسحب الجيش الى أطنة تبقى المدينة تحت رحمة الاعداء ولذلك أنا ذاهب لنقلهم الى مكان آخر .

فاجابه الغازى :

— ألم يبق فى البلاد رجل ؟ فكروا فى الدفاع عن أنفسكم ...

فسأله جنانى بك وقتئذ بدهشة .

— كيف ؟ وبأى واسطة ؟

— اجمعوا أمركم على تأليف فرق قومية ودافعوا عن أنفسكم وأنا أعطيكم ما تطلبونه من السلاح .

قال المحرر :

« وفى الحقيقة أن الاسلحة التى أعطيت لاهالى عنتاب وقتئذ كانت النواة للفرق الدفاعية القومية التى تألفت، وكان الغازى يعلم أنه سيأتى يوم تضطر فيه البلاد الى الدفاع عن نفسها وفضلا عن مساعيه فى سبيل تأليف وزارة جديدة فان خواطره التالية ستوضح هذه المسألة »

## — ٢٧ —

**تعيين الغازي قائداً عاماً لجيش الصاعقة**

كان الجيش السابع قد تمكن من ضبط الحالة وتثبيت الموقف فى شمال حلب وفى الأشهر الاخيرة من عام ١٣٣٤ الموافق ١٩١٨ أخذت برقية تفيد تعييني قائدا عاما لجميع الفيالق والفرق التى يتألف منها جيش الصاعقة، فعينت فى الحال على فؤاد باشا أحد قوادى وكيلا لقيادة الجيش السابع وسافرت الى أطنة، مقر القيادة العليا . وكان مركز القيادة فى فندق كبير من فنادق أطنة، حيث تقابلت فيه مع المشير ليمان فون ساندرس وهيأة اركان حربه .

وكنت قطعت مسافات طويلة بالسيارة فى طريق وعر، ليل نهار، دون أن يغمض لى جفن، حتى وصلت من مركز الجيش السابع الى أطنـه . وأقول هنا مسافات طويلة ويكفى للمرء أن يقيس على الخريطة بالبرجل طريق البر بين (قاطمة) و ( آطنة ) ليتحقق من طول المسافة ولـكن لماذا كنت أسرع هذا الاسراع وأتهافت كل هذا التهافت. انه من الصعب ايضاح ذلك . قد يخطر على البال ان هذا الاسراع كان بدافع السرور الذى يتولد فى نفس قائد شاب تسند اليه قيادة جيش كبير، يتألف من عدة فرق وفيالق . غير ان هذا الحكم يصدق على من ينال مثل هذه المكانة فى اول الحرب، اذ ان قيادة مثل هذه القوات الـكبيرة تبعث النفس على الأمل بأمكان تأدية خدمات جليلة للوطن، ومثل هذه الحالة من أقوى العوامل لتجديد العزيمة وبث روح النشاط . اما فى آخر أيام الحرب، امام مناظر الهزيمة والاضطراب، فليس من المعقول ان يوجد انسان يحكم بمثل هذا الحـكم . اذن فما هو السبب فى تهافتي الذى أورثني مثل ذلك التعب وقتئذ؟

ومع صعوبة نقل ما ساورني اذ ذاك من الشعور بالدقة، أذكر انى كنت على يقين بأنى اذا وصلت الى آطنة وأنا على رأس القوات التى لا تزال متسيطرة على الجبهات الجنوبية ، فأستطيع بذلك أن أجد فرصة كافية لتطبيق آرائى ووجهات نظرى . وستعلمون من الوقائع التى جرت بعد ذلك إلى أى حد كنت مصيباً فى هذا الظن. أما أن أمالى لم تتحقق وما كنت أرى اليه لم أفز به ، فسوف أسلمكم الوثائق التى تعينكم على معرفة الاسباب .

## — ٢٨ —

فون ساندرس يسلم القيادة

خصصوا لى مكاناً فى معسكر المشير فون ساندرس ومهدوا لى كل أسباب الراحة بعناية وظرف

كنت مع المشير فى مكتبه الخاص على انفراد ، وكنا واقفين، تفصل بيننا منضدة. وقد سلمنى القيادة بهذه الكلمات القليلة ، بلسان يعبر عن أدبه ولطفه ، مشوباً برنة حزن .

— اكسلانس : أنتم قائد اتصلت به وعرفته من قرب فى ميادين الحرب وفى معركتى أرى بورنى وآنافارطه . وقد وقعت بيننا حوادث ووقائع، غير أن تلك الحوادث كانت سببا فى توثيق عرى المعرفة بيننا، وأظن أننا أصدقاء بالماضى لا بالاسم، أترك الجيوش التى تقلدت قيادتها وأنا مجبر على مغادرة تركيا اليوم ، الى عهدة قائد ، أقدره حق قدره منذ أول قدومى الى بلادكم . وليس فى الامكان ألا يشعر المرء بلواذع التعاسة وسط هذه

النكبة العامة غير أني مازلت أرى وجها للتسلية ، وأنا أترك لكم القيادة ومنذ هذه الدقيقة الأمر أمركم وأنا ضيفكم »

كلمات المارشال الطافحة بمعاني الحزن والألم ، حركت عوامل التأثر في نفسي ولم أستطع أن أجيبه بأكثر من قولي : لنجلس

جلسنا أزاء بعضنا وأشعل كل منا لفافة ، وبالحاح مني أرسل هو بطلب القهوة لنا [1] وكان كل منا ساكتا ننظر الى بعضنا دون أن ننبس ببنت شفة . فما الذي جال في نفسي في تلك اللحظة ؟ كنت قبل أربعة أعوام القائمقام مصطفى كمال الملحق العسكري في صوفيا ، ودخلت تركيا غمار الحرب مع حليفتها امبراطورية المانيا وكان الجالس أمامي ، رئيس الهيأة العسكرية الالمانية المنتدبة للاصلاح وعهدت اليه قيادة الجيش المنوط به الدفاع عن (جناق قلعة) . وكنت الى ذلك العهد ، وأنا غير مصدق بما حدث ، لا أعتقد أن تركيا ، التي يستدعي دعوة جيشها الى السلاح شيئا كبيراً من الروية ، تدخل الحرب بتلك السرعة أثر حادثة بسيطة وقعت في البحر الاسود لا أعلم حتى اليوم كيف وقعت . وقد كنت أشكو من دخولنا الحرب . وقد قابلوا شكواي بعدم الاهتمام وضربوا بتنبؤاتي عرض الحائط . لأني لم أتأفف من دخولنا الحرب فقط ، بل كنت أقول بهزيمة المانيا وحلفائها الذين دخلوا معها الحرب . وقد كانت أقوالي في ظرف يكذب ادعائي . لأن الالمان كانوا يتقدمون اذ ذاك بخطوات واسعة عنيفة نحو باريس . في هذا الظرف الغريب ، وفي هذا الزمن الذي أصبح الناس يلهجون

(١) يريد الغازي أن يقول انه أراد أن يعتبره صاحب الكلمة في مركز القيادة حتى لعله أنابيوا اليه

تملن بنتيجة الفوز المحقق لألمانيا وحلفائها ، يقوم ملحق عسكري فى صوفيا فيبدى ملاحظات غريبة لرجال عديدين فى الأستانة ويسود لهم صفحات،طويلة محاولا اقناعهم بأن تركيا تأتى أمراً منكراً بدخولها الحرب. ألا يكون مثل هذا الرجل مجنوناً وهل يستحق غير هذا الحكم فى مثل هذا الزمن ؟ وفى النهاية علم الناس من أمر ذلك الزحف الألمانى المتقدم الى باريس بخطوات الجبابرة . وهل فى الامكان بعد أن أتحقق النتيجة المنتظرة ، وبعد أن أعلم أن حكومتى،وقد دخلت فى طريق تلك النتيجة، ولم يبق أمامها سوى بذل الدماء لانقاذ نفسها ، هل فى الامكان بعد ذلك أن أظل فى منصبى فى صوفيا ، متمتعاً بالراحة فى حياة الصالونات ؟

فقدمت طلبا الى وكالة القيادة العامة ملتمسا أن تسند الى وظيفة فى الجيش العامل ، تتناسب مع رتبتى العسكرية ، فوردت الى اجابة رقيقة من وكيل القائد العام يقول فيها : « توجد لأجلكم وظيفه على الدوام فى الجيش وانما نظرا لما لبقائكم فى وظيفتكم السياسية من الاهمية عندنا ، نرى بقاءكم فى صوفيا » فأجبت :

«لا توجد وظيفة أشرف وأجل من الوظائف العملية فى الدفاع عن الوطن فلا أستطيع أن أظل هنا ملحقا عسكريا فى صوفيا حين أرى اخوانى وزملائى يقومون بواجبهم فى ميادين الحرب وخطوط النار . واذا كنت غير كفء لأكون من صف ضباط الدرجة الاولى . أى أنكم اذا كنتم تعتقدون ذلك فأرجوكم الايضاح بصراحة : »

وقد تأخر الرد كثيرا ويصعب أن أشرح لكم ما عانيته اذ ذلك من ألم النفس وقد كنت قررت اذا اضطرني الامر أن أسارع الى ميدان

الحرب للعمل كنفر بسيط . ولذلك نقلت أثاث منزلى الى دار السفارة بموافقة السفير فتحى بك اذ ذاك . وتصرفت فيما رأيته زائدا عن الحاجة وأعددت حقائبي وصرت على أتم الاستعداد للسفر . وبينما أنا على وشك مغادرة المنزل وصلتني برقية بامضاء « اسماعيل حقى » وفوق الامضاء جملة ( وكيل ناظر الحربية ) ونص البرقية : قد عينتم قائدا للفرقة التاسعة عشرة فأحضروا حالا الى الاستانة

وفى الحقيقة انى عند ما استلمت هذه البرقية كان أنور باشا وكيل القائد العام فى معركة ( صارى قاميش ) ، وكان اسماعيل حقى باشا رئيس اللوازمات العامة ، يدير أمور نظارة الحربية بالنيابة عنه . وعند عودتى من ( صوفيا ) ووصولى الى الاستانة كان أنور باشا قد عاد أيضا من ( صارى قاميش ) فذهبت أولا لزيارته فى دار النظارة وأرسلت اليه أطلب اذنا بالدخول ، وأنا فى انتظار الاذن وإذا بعثمان شوكت بك ( باشا الآن ) ، مدير المعاملات الخاصة ، يريد الدخول عليه ببعض الاوراق فسألته :

— هل الذى عينني قائدا للفرقة التاسعة عشر هو اسماعيل حقى باشا وكيل نظارة الحربية ؟

فأجابني عثمان شوكت بك برزانة وبشىء من الهمس ، كأنه يفشى إلى سراً :

— كلا . ان الذى عينكم هو أنور باشا مباشرة وقد أرسل الأمر بالتلغراف من ( أرضروم ) كونوا على ثقة من ذلك ياسعادة البك . . .

وبعد قليل دخلت عند أنور باشا وكنت معه على انفراد وجهاً لوجه وقد وجدته باهت اللون ، فى شىء من النحول فبدأته الحديث بقولى

— قد تعبت قليلا .

— لا ليس كثيراً .

— ماذا حصل ؟

— قد تصادمنا فقط .

— وكيف الموقف الآن ؟

— حسن جداً .

فلم أشأ أن أشغل أنور باشا اكثر من ذلك فانتقلت فى الحديث الى وظيفتى وقلت له :

— أشكركم . بلغنى أنكم عينتمونى قائداً للفرقة — رقم١٩ فأين هذه الفرقة . وتحت رئاسة أي فيلق وأى جيش هى ؟

فأجابنى :

— نعم قد تذكرت لو راجعتم ادارة أركان الحرب بهذا الخصوص تحصلون على معلومات قاطعة .

وقد لاحظت أن أنور كان تعباً ومشغولا فلم أشأ أن أطيل معه الحديث فقلت :

— حسناً لاداعى لازعاجكم كثيراً وسوف أتكلم مع أركان الحرب .

ثم رجعت الى أركان حرب القيادة العليا وقدمت نفسى الى الرؤساء المستشارين الذى يجب مقابلتهم بهذه الكيفية :

— مصطفى كمال قائد الفرقة التاسعة عشر !

فكان كل شخص أقدم نفسى اليه بهذه الصورة ينظر الى وجهى متحيراً ويجد صعوبة فى تعرف شخصيتى وفى النهاية لم اجد انساناً فى أركان

حرب القيادة العليا على علم بوجود فرقة بهـذا الاسم. فانظروا كم يكون موقفى غريباً ازاء هذه الحالة : . . . أقول للناس بجد ورزانة أنى قائد الفرقة التاسعة عشر وليس لانسان علم بوجود هذه الفرقة . كان موقفى اذ ذاك موقف شخص مزيف . . . .

وفى النهاية وأنا أنظر الى وجوه الناس فى حيرة وذهول قال لى صاحب رأى واصابة نظر :

— ربما كانت مثل هـذه الفرقة فى جيش ليمان فون ساندرس فلو امكنكم مقابلته مرة واحدة . .

فسألت أين يوجد ليمان ساندرس فأجابونى :

— فى دائرته الخاصة بالنظارة الجليلة

— ومن هو رئيس أركان حربه ؟

— هو كاظم بك

— هل تتكرمون بارشادى اليه أولا . فطلبوا أحد السعاة وقالوا له

— ارشد البك الى غرفة كاظم بك أفندى .

وفى غرفة كاظم بك أفضت القصة وقلت له :

— لقد تفضل حضرة الباشا وكيل القائد العام بتعيينى قائداً للفرقة التاسعة عشرة الا أنه لم يعطى هو أو أركان حربه أى معلومات عن هذه الفرقة وفى النهاية أرسلونى الى هنا ظناً منهم بأنه قد يكون وجود لهـذه الفرقة فى جيش ليمان فون ساندرس باشا . ومن الطبيعى أن تكونوا حضرتكم على علم بذلك فهل فى جيشكم مثل هذه الفرقة ؟

فأجابنى كاظم بك :

— لاتوجد مثل هذه الفرقة فى تشكيلاتنا وانما يجوز أن تكون هذه الفرقة داخلة فى بعض التشكيلات الجديدة التى شرع الفيلق الثالث فى غاليبولى فى ايجادها فاذا تفضلتم بالذهاب الى هناك لتبينتم الحقيقة . فقلت :

- اذن يقتضى أن أسافر بنفسى الى غاليبولى لامكان معرفة ماذا كانت توجد الفرقة التى عينت قائداً لها أولا توجد ؟

— نعم هذا هو الأصوب . ومع ذلك أعرفكم بقائد الجيش قبل قيامكم ثم ذهب كاظم بك بمفرده الى الباشا القائد وبعد دقيقة دعانى الدخول فدخلت وقال للباشا وهو يعرفنى لا أتذكر قائد الفرقة التاسعة عشرة أم القائد المقترح للفرقة التاسعة عشر وأنما اذكر تماماً أنه قال له بجلاء الملحق العسكرى مصطفى كمال القادم من صوفيا و- قابلنى ليمان فون ساندرس باطف وبشاشة وأجلسنى أمامه فى مكتبه وسألنى برقة زائدة :

— متى حضرتم من صوفيا ؟

- أمس .

ثم قال لى بلا مقدمة : هل البلغار لايدخلون الحرب بعد ؟ فأجبته :

— على ما أرى أنهم لا يدخلون الحرب بعد .

- لماذا ؟

وعند هذا السؤال حرك يده حركة تدل على الاستغراب وقد فكرت قليلا قبل الاجابة وقلت :

— حسب ما افهمه أن البلغار لا يدخلون الحرب قبل التحقق من أحد احتمالين : فهم لا يدخلون الحرب الا اذا وثقوا من فوز ألمانيا فى الحرب أو عند حدوث تصادم فعلى فى أرض بلغاريا .

وقد انفعل ليمان فون ساندرس على أثر هذه الاجابة ورفع قبضة يده اليسرى وضحك أولا ثم قال :

— هل البلغار غير مطمئنة بعد الى انتصار ألمانيا فى الحرب ؟

فأجبته بسكون :

— كلا ياصاحب السعادة .

فاشتدت حدة فون ساندرس على أثر هـذه الاجابة وعلت وجهه حمرة الغيظ والحنق. أجل كان فون ساندرس يحتد جداً فقال:

— ولماذا ؟

لم استطع أن أفهم قصده بسرعة من هذا السؤال ولذلك نظرت اليه فأوضح قائلا :

— كيف يصح ذلك ، كيف يصح عدم الوثوق بفوز الجيش الألمانى؟

— الامر كما أقول يامولاى .

فنظر الى وجهى متفرسا وسألنى :

— ماهو رأيكم أنتم ؟

أ كان على أن أجيب أم أسكت ، فترددت فى ذلك لحظة من الزمن. ولـكن يمكنكم أن تتصوروا شعورى اذ ذاك، وأنا فى موقف قائد لجيش اسمى. وقد كنت قبل ذلك كتبت برأيى الى من يلزم فى هذا الصـدد. فلا يمكننى أن أقول شيئا عكس ذلك ، ولم أستطع حتى اللحظة الاخيرة من أمنع نفسى عن تقدير المسلك الصائب الذى تسلـكه بلغاريا ، لا سيما وإنى كنت قبل مغادرتى صوفيا تحادثت بأخلاص مع الجنرال فيتشف الذى يشغل أكبر المناصب فى بلغاريا وفهمت رأيه الموافق لوجهة نظرى

وبناء على ذلك ما الذى أستطيع أن أقوله لهـذا المارشال الذى أخـذ على عاتقه مهمة الدفاع عن بواغيز الوطن التركى.و بعد جدال نفسانى دام مدة وجيزة أجبت بهذه الجملة القصيرة :

— انى أرى البلغار على حق فى وجهة نظرهم .

فوقف فون ساندرس منتصبا فى الحال وأذن لى

هـذا هو الشخص الذى جلست الآن أمامه أشرب معه القهوة وأدخن لفافتى ازاءه بسكون فى آخر أيام الحرب

— ٢٩ —

ذكرى حادثة أخرى.

مرت على ذاكرتى حادثة أخرى وأنا جالس ازاء ليمان باشا فى الغرفه التى ذكرتها فى فندق أطنة :

كنت قائد (آرى برونى) وكان الانجليز خرجوا الى ناحية (أنافارطه) وكان الموقف فى أشد الخطورة ولذلك اضطررت الى مخابرة وكيل القائد العام أنور باشا رأسا لترد الى اجابة شافية. وأنا فى ذلك وإذا بفون ساندرس باشا يطلبنى الى التلفون من مركز قيادته الذى كان فى (يالوا) وكان كاظم بك رئيس أركان حربه هو الواسطة فى المخابرة وكان سؤاله الى :

ـ كيف تجدون الموقف وما هى التدابير التى ترون اتخاذها ؟

وكنت قد أخطرت منذ زمن جميع الجهات الرئيسية بالموقف والتدابير

الواجب اتخاذها قبل ذلك خطوة خطوة . لذلك أجبته على الفور وأنا متأثر لعدم وصول الاجابة عن اخطاراتى السابقة :

— كنت أخطرتكم منذ زمن طويل عن الحالة وعن رأيى فيها أما من جهة التدابير فقد كانت تدبيرات كثيرة توافق الحالة قبل هذا الظرف الحرج. أما فى هذه الدقيقة فلم يبق سوى تدبير واحد

— وما هو هذا التدبير ؟

— اعطونى قيادة جميع القوات التى تحت أمركم . هذا هو التدبير ...

فأجابنى بلهجة الاستهزاء :

— أليس هذا كثير ؟ فقلت :

— بل هو قليل

فقفل التلفون وانقطع الحديث

وبعد هذه الحادثة حوادث أخرى ، تنتهى بايداع قيادة فيالق أنافارطة تحت ادارتى .

أكان يجب انتظار أربعة أعوام، تمر بأنواع الفواجع والآلام والأضرار الغير القابلة للتلافى، لمعرفة ما اذا كان التدبير كثيرا أم قليلا ؟ ولكن ذلك كان مقدرا .... أكان من الصواب التسليم بالحقيقة التى أعربت عنها اذ ذاك؟ أم كان الصواب تسليم قيادة الجموع، جموع القوات والفيالق تحت تأثير الانتباه الذى أحدثته النكبات المتوالية مدى أربعة أعوام ؛ هذه مسائل جديرة بالتفكير والتمحيص. لم يكن هنالك هدف ايجابى أو معنى ثابت حتى فى الاشياء التى عملت بعد اضمحلال الدولة لعثمانية واصابتها بالنكبة المقدرة وتدهورها فى الاوحال .

وفى الحقيقة أن الادوار حد فاصل للحوادث وانى اليوم مسرور لأنهم منعونى من اثبات نفسى فى صفحات الماضى التى تعاقبت . ولامراء فى أن الانسان اذا كان فى بيئته التى يعيش بينها وفى زمنه الذى يعيش فيه، يكون مع الرجال الذين يديرون حركة تلك البيئة وذلك العهد ، فى فكر واحد وعمل واحد ،لا يخرج عن أن يعد من رجال تلك البيئة وذلك العهد . ولذلك أعد من واجبى أن أشكر أولئك الذين بذلوا مافى وسعهم لابعادى عن تلك النكبة على شرط أن أذكر هنا أنهم فعلوا ما فعلوا دون قصد ...

## — ٣٠ —

**الهدنة وانا على رأس الجيش**

والقوات التي تقلدت قيادتها العامة اذ ذاك هي :الجيش الثاني وقائده نهاد باشاومركزه أطنه ،وجيشي السابق ، الجيش السابع ، فجيشي وقائده على فؤاد باشا بالوكالة ، فقوة الحجاز السفرية . . . وقائدها فخر الدين باشا (سفير تركيا في كابل سابقاً )،وقد كنت عينت لقيادة هذه القوة فلم أقبل وعدت من الشام ، ثم بعض القوات الأخرى في معان . . .

والنقط الاساسية التي فكرت فيها عند استلامي قيادة جيوش الصاعقة تتلخص فيما يأتي : أن أجعل من جميع القوات الموجودة مباشرة تحت ادارتي قوة حقيقية ، رغم الحوادث والنكبات التي أصيبت بها، بطريقة تنسيقها وتقويتها وتنظيم أركانها . ولم أفكر مطلقاً في أن أدخل في حسابي قوة الحجازالسفرية ولا القوات المرابطة في معان ، لأنني كنت أخبرت جمال باشا وأنور باشا منذ عامين ،بأن تلك القوات مقضي عليها بالأسر لامحالة . وفكرت كذلك في أن أرى الجيش السادس المرابط على مقربة من الموصل في حالة يتمكن معها الاستفادة منه . ولذلك بدأت أتخابر رأساً مع قائد هذا الجيش . أما القوات الموجودة في ( الاستانة ) و(جناق قلعة ) فلم أعلق عليها أملا . والجيوش الموجودة في الشرق ، في (أذربيجان ) و ( ايران ) لم يكن لي بها علاقة ولا اتصال ، لانني لم أكن في حالة تسمح لي بأن أفكر في شيء ما بخصوصها.وفرقة سعيد باشاالتي كانت تحاول اجتياز باب عدن لم تخطر على بالي مطلقاً . غير أنني كنت على يقين تام بأنني استطيع بأن أجعل لتركيا صوتاً مسموعاً من طريق تقوية الجيشين

الموجودين تحت يدى مباشرة . فبدأت فى العمل بموجب هـذه الخطة . وكان اخوانى من قواد الجيش والفيالق وأركان الحرب ، جميعهم من الرجال الذين فهموا ما أرمى اليه وعاهدونى بالعمل على تنفيذ هذه الخطة بكل ما فى وسعهم من جهد وقوة ، مهمـا كلفهم الامر وفى أى حال من الاحوال . وكان هناك من لم يكونوا على هـذا المشرب، فعملت على توزيعهم بطرق ووسائل شتى. فمن هؤلاء مثلا مفتش المنزل ، عونى باشا ( وقد صار فيما بعد ناظراً للبحرية ثم ناظراً للحربية بالوكالة ).

وبينما أنا وزملائى نعمل فى سبيل تنفيذ الخطة على هـذه الاسس والقواعد المتبنة أخذت من الاستانة هذا الامر :

الى قيادة قوات جيوش الصاعقة المعسكر العام

٢٧٢٩

مدرج فيما يلى شروط الهدنة التى عقدناها مع الدول المؤتلفة ، فيقتضى الحصول على المعلومات اللازمة ، وتطبيق ما يجب عمله بخصوص كل جيش من الجيوش وسوف نمدكم بالتعليمات فى هذا الصدد كلما رؤى ضرورة لذلك

الصدر الأعظم ورئيس اركان حرب القيادة العليا

عزت

وشروط المتاركة المرفقة بهذا الأمر معلومة لدى الجميع ولذا لا أرى داعيا لتكرار ذكرها هنا (١) والعقيدة التى تكونت فى نفسى أثر قراءة شروط

---

(١) عند نشر هذه المذكرات فى الصحف التركية أعادت تلك الصحف درج شروط المتاركة فرأينا تعريبها فى الفصل الثانى من كتابنا لتعين القارىء على تفهم الحوادث الوارد ذكرها فى الوثائق

الهدنة والتمعن فيما تضمنته من المواد، هى أن الدولة العلية العثمانية قد رضيت بهذه المتاركة أن تسلم نفسها للأعداء بلاقيد ولا شرط. لم ترض بهذا فقط بل هى وعدت أيضا بمساعدة الأعداء على احتلال البلاد وقد دفعنى هذا الامر الى تفكرات حزينة . وقد أردت أن أنبه حكومة الاستانة وأهديها وأظن أنى سعيت مجتهداً فى ذلك ولكن فكرتان متضادتان قد تصادمتا فى هذا الصدد. ولا أريد أن أبسط لكم هذ الأمر وانما أفضل أن أودع اليكم نفس الوثائق التى أصبح بعضها معلوما . وهذه الوثائق أشد حجة من أقوالى التى سأقولها هذه الدقيقة . وعند ما تقرأون هذه الوثائق ، تعلمون أنى رأيت نقائص المتاركة التى عملت وقتئذ وقد قمت بتبليغ ملاحظاتى للجهات المسئولة عند ما اقتنعت بضرورة تصحيح تلك المسقطات.

لقد أعربت أنه عند تطبيق بنود المعاهدة كما هى ، تكون البلاد معرضة للاحتلال والاغتصاب من أقصاها لأقصاها. وأوضحت النتائج السيئة التى تتولد من الرضوخ لكل أمر من أوامر الاعداء، وانه مما لا مراء فيه أن مثل هذا الامر لا يسبب الا تحكم الاعداء المحتابن فى جميع تركيا، وأنه سيؤدى ذلك الى تعيين الوزارة العثمانية يوما ما من قبل الاعداء .

وليس فى ذلك مايدعو الى التكهن فأن الذين يرون فى أنفسهم العجز والضعف ، عند ما يسألون الرحمة من الاقوياء ذوى البأس ، مثل هؤلاء لا أدري فى أى جبلة وخصلة يجب أن يكونوا لتحربك لواعج الشفقة والرحمة نحوهم !

## معاهدة موندروس

مادة ١ — فتح بواغيز البحر الاسود و(جناق قلعة) للمرور الى البحر الاسود وتأمين المرور الى البحر الاسود واحتلال استحكامات البحر الاسود وجناق قلعة من قبل الحلفاء.

مادة ٢ — يجب الارشاد الى مواقع الألغام وأماكن الغواصات فى المياه العثمانية وتقديم المساعدة وقت الطلب عند رفع هذه الاشياء وتطهير المياه منها.

مادة ٣ — تقديم المعلومات عن أماكن الألغام الموجودة فى البحر الاسود.

مادة ٤ — أن يجمع أسرى الحرب التابعين للحلفاء مع الاسرى والموقوفين من الارمن فى الاستانة، وتسليمهم بلا شرط ولا قيد لحكومات الحلفاء.

مادة ٥ — تسريح جميع قوات الجنود سوى ما يلزم منهم للمحافظة على الحدود وضمان الامن فى الداخل (وسيتقرر مقدار هذه القوات وكيفية توزيعها بموجب مفاوضات تجرى بين الحلفاء والدولة العلية فى هذا الشأن)

مادة ٦ — يصير تسليم جميع السفن الحربية الموجودة فى المياه التركية أو التى هى تحت اشغال الحكومة العثمانية فى مياه الاراضى العثمانية، ويصير إيقافها فى المرافىء العثمانية التى تعين وتستثنى من ذلك السفن الصغيرة التى تستخدم فى ادارة الشرطة وما ماثلها من الشئون.

مادة ٧ — للحلفاء حق احتلال أى مركز من مراكز سوق الجيش عند حدوث

أى حالة من الحالات التى تهدد سلامة الحلفاء .

مادة ٨ ــ أن تستفيد السفن الحربية التى للحلفاء من جميع السكك الحديدية والمرافىء الموجودة الآن تحت اشغال الحكومة العثمانية وان تقفل تلك المرافىء فى وجه المتحاربين ضد الحلفاء أما الموجودة فى السفن فسوف يصير تسريحها بموجب الشروط المماثلة .

مادة ٩ ــ يستخدم الحلفاء جميع الوسائل الموجودة فى ا... ... والموانى العثمانية لاصلاح وتعمير جميع السفن

مادة ١٠ ــ أن يحتل الحلفاء أنفاق جبال طوروس .

مادة ١١ ــ ينفذ الامر الصادر سابقا بخصوص سحب القوات العثمانية الموجودة فى الشمال الغربى من ايران ... ... الحرب . أما الجنود الموجودة فيما وراء القوقاز ... صدر الامر بانسحاب بعضها فالبعض الآخر يصير سحبه عند اللزوم بعد تدقيق الحالة محليا

مادة ١٢ ــ تكون الاسلاك التلغرافية والمخابرات اللاسلكية تحت اشراف ومراقبة الحلفاء ويستثنى من ذلك المخابرات الحكومية .

مادة ١٣ ــ ممنوع بتاتا اتلاف المواد والذخائر البحرية والعسكرية والتجارية

مادة ١٤ ــ الفحم والسوائل والوقود واللوازم البحرية يجب ... المساعدة فى الحصول عليها بعد سد حاجات البلاد منها ( ويمنع تصدير المواد المذكورة للخارج )

مادة ١٥ ــ تعيين ضباط الحلفاء لمراقبة جميع الخطوط الحديدية ويدخل ضمن هذه الخطوط السكة الحديدية الواقعة تحت اشراف

الحكومة العثمانية فيما وراء القوقاز . وتسلم هذه الخطوط الموجودة في القوقاز الى ادارة واشراف الحلفاء تماما وسينظر في ضمان مواصلات الأهالى ويدخل تحت نص هذه المادة احتلال مدينة باطوم بحيث لا تعترض الحكومة العثمانية على هذا الاحتلال

مادة ١٦ — يصير تسليم القوات المحافظة الموجودة في الحجاز والعسير واليمن وسوريا والعراق لأقرب قائد من قواد الحلفاء . وأما القوات الموجودة في كاليكيا فتنسحب حسب مايقرر وفقاً للمادة الخامسة الى الوراء ماعدا ما يرى ضرورة بقائها لمحافظة النظام .

مادة ١٧ ـ يسلم الضباط العثمانيون الموجودون في طرابلس وبنغازى ، لأقرب قطعة ايطالية . وتتعهد الحكومة العثمانية بقطع معونتها عنهم وعلاقاتها معهم في حالة عدم انصياعهم لامر التسليم .

مادة ١٨ ـ تسليم الموانىء الواقعة تحت الاشغال في طرابلس وبنغازى ، بما في ذلك مصراطه الى أقرب قوة من قوات الحلفاء .

مادة ١٩ ـ أن يترك الموظفون البحريون والبريون الملكيون من الالمانيين والنمساويين البلاد العثمانية في ظرف شهر ومن كان منهم في أماكن نائية فيتركون البلاد في أقرب فرصة ممكنة

مادة ٢٠ ـ المواصلات والاسلحة والتجهيزات والذخائر العسكرية التابعة للجنود العثمانية التي يصير تسريحها بموجب المادة الخامسة يراعى بشأنها متعلقاتها التعليمات التي بعد .

مادة ٢١ ـ يعين مندوبون من قبل الحلفاء للعمل في وزارة التموين صيانة

لمصالح الحلفاء وتعطى اليهم جميع المعلومات اللازمة فى هذ الصدد

مادة ٢٢ — يحتفظ الحلفاء بأسرى الحرب من العثمانيين وينظر فى شأن الأسرى الملكيين والخارجين عن الأسنان العسكرية

مادة ٢٣ ـ تقطع الحكومة العثمانية كل علاقاتها مع حكومات أوربا المركزية

مادة ٢٤ ـ يحتفظ الحلفاء بحق احتلال أى ولاية من الولايات الستة عند حدوث ثورة فيها

مادة ٢٥ — يصير ايقاف الحركات العدائية بين الحكومة العثمانية فى الساعة الثانية عشرة ظهراً من اليوم الحادى والثلاثين من شهر تشرين أول (ديسمبر) عام ١٩١٨ .

أمضى هذا العقد من نسختين فى اليوم الثلاثين من شهر تشرين أول عام ١٩١٨ فى المدرعة ( آغاممنون ) من السفن الحربية التابعة للحكومة الملكية البريطانية فى مرفأ (مندوروس) بجزيرة (ليمنى )

(الوثائق التاريخية الخاصة بالمذكرات)

الى رياسة أركان حرب القيادة العليا الجليلة

من أطنه

رقم ٥٦٥ ‏ ٣/١١/٣٤

قد وصلني أمركم السامى المشتمل على شروط الهدنة . وفيه تأمرون بتنفيذ مايختص بكل جيش فى الحال. وقبل البدء فى التنفيذ أرانى مضطراً الى طلب ايضاح لبعض المواد من نصوص المتاركة وسأعرض تلك المواد فى الترتيب التالى :

١ (المادة ١٠) التى تنص على احتلال أنفاق طوروس من قبل الحلفاء ، تحتاج الى ايضاح . لأن أنفاق (طوروس) عبارة عن النفقين اللذين حفرا أخيراً . فهل هذان هما اللذان يصير احتلالهما ؟ وهل الاحتلال يشمل تشغيل الخط الحديدى الموجود فى ذلك القسم أيضاً ؟ وإلا هل يقتصر الاحتلال على أخذ ترتيبات تحفظية. وهل يدخل تحت نص هذه المادة انفاق (أمانوس) التى هى عبارة عن مجموعة أخرى قائمة بنفسها . وما هو مقدار الجنود التى تحتل أنفاق طوروس ومن أى ناحية نأتى ؟

٢ – قد اعتبرت حدود سوريا هى الحدود الشمالية لولايتنا السورية فاذا كان هناك اعتبار آخر أو قرار خلاف هذا فيقتضى الايضاح . وليس هناك أى قطعة لنا فى سوريا لها ارتباط بنا. ولنا فى الحجاز قوة سفرية ولكن لا يربطنا بها أى ارتباط حتى باللاسلكى . وجهات كيليكيا تشمل قسما مهماً من ولاية أطنه كما هو معلوم الا أن حدودها مجهولة فيجب ايضاح ذلك أيضاً .

٣ - القرارات الفعلية المتعلقة بأمر تسريح الجنود لها علاقة تامة بالاجراءات الاخرى. فمن أى جهة ومتى تصدر التعليمات المذكورة فى المادة (٢٠) من الشروط. وهل اصدار هذه التعليمات من حق حكومتنا أم من حق الحلفاء ؟

٤ - ونظرا للامر القاضى بالبدء فى تطبيق كل جيش لشروط المعاهدة كل فيما يخصه، فهل يفهم من ذلك ايفاد مندوبين من قبلنا دون انتظار تكاليف الحلفاء، للمفاوضة فى المسائل التى يقتضى النظر فيها بالاشتراك مع الحلفاء ؟

أما التدابير التى اتخذت الى حين وصول الايضاحات بخصوص المسائل المعروضة فهى كالآتى :

١ - تشكيل هيئات المخابرة

٢ - اعداد مفرزة بحرية لتأدية المعونة اللازمة بخصوص رفع وتنقية الالغام الموجودة فى السواحل الواقعة فى منطقة الجيش .

٣ - أخذ الترتيبات اللازمة لنقل أسرى الحرب والموقوفين من الارمن

٤ - تشكيل فرقة قوية أفرادها من الشبان الاشداء وتقوية الجاندرمة

٥ - نقل المواد والذخائر الحربية الزائدة الى شمال (داوروس) واتخاذ التدابير اللازمة لمنع تخريبها بأى وجه من الوجوه .

٦ - تنظيم حركة ادارة السكة الحديدية نظراً لاخراج الموظفين الملكيين من الالمان ( وادارة الجيش تنتظر المساعدة الممكنة بهذا الخصوص من الاستانة )

٧ - أخذ الترتيبات اللازمة لجمع وادخار السلاح والذخائر والمهمات والوسائط الاخرى الخاصة بالقوى العسكرية التى سيصير تسريحها .

الى قيادة وحدات جيش الصاعقة:

٥٦٧ الحربية

١٥٠٥ ٤/٥ / ١ / ٣٤

ج : ٣/١١ / ٣٤ تاريخ والحركات ٥٦٥

١ — احتلال أنفاق طوروس من قبل الحلفاء ليس له سوى شكل الاحتفاظ . أما الادارة فهي منوطة بكم تحت الرقابة . ولم تنص المعاهدة الا على أنفاق طوروس فاذا أرادوا احتلال أنفاق أمانوس أيضاً ، فيجب التشدد في الحيلولة دون ذلك واخطار المركز العام . أما مقدار الجنود التي ستقوم بأمر الاحتلال والجهة التي تأتي منها فستوضح لكم من طرف القائد الانجليزي .

٢ — المادة الخاصة بتسليم القوات السورية دونت من باب الاحتياط وعلى كل حال فان القطعات الموجودة اليوم في جبهة الحرب غير داخلة في هذا الصدد . وبما أنه لا توجد لنا قطعات عسكرية في سوريا فلا دخل لهذه المادة بوحدات جيش الصاعقة . ويقتضي اعطاء الأوامر اللازمة بخصوص شروط المتاركة الى قوة الحجاز السفرية والى الوحدة النظامية الأولى ، والى القطعات الموجودة في معان ، من قيادة وحدات جيش الصاعقة ، حيث مازالت الى اليوم معتبرة تحت ادارة القيادة المشار اليها . ويمكن الاستعانة بالتلغراف اللاسلكي الانجليزي لتنفيذ هذا الأمر . وتبقى بموجب ( المادة الخامسة ) من شروط الهدنة القطعات الموجودة اليوم في الجبهة في مكانها الى أن يتقرر وضع الجيش الجديد . وسنوضح لكم اذا اقتضى تأل حدود كليكيا .

٣ — القرارات الخاصة بتسريح الجيش وموقفه الجديد والتعليمات المذكورة فى المادة ٢٠ ستصدر اليكم من هنا .

٤ - يجب انتظار تكاليف الحلفاء فى المسائل المنوه عنهـا فى هذا السؤال .

٥ — نوافق على التدابير الابتدائية المتخذة .

رئيس أركان حرب القيادة العليا

عزت

الى رئاسة أركان حرب القيادة العليا

مستعجل جداً　　　　　　　　　　　　　　　　أطنه

٥/١١/٢٤

الاجابة على الأمر السامى رقم $\frac{٥٦٧}{١٥٠٥}$ فى $\frac{٤}{٥}$/١١/٣٤

١— أفدتم بأن مقدار الجنود التى ستقوم بأمر احتلال أنفاق طوروس سيبلغ الينا من قبل القيادة الانجليزية . فهل اذا كان مقدار تلك الجنود كبيراً الى حد التسيطر على جميع الأنفاق وقت الايجاب يسمح كذلك بتعميد فكرة الاحتلال ؟

٢ ـ ذكرتم أن المادة الخاصة بتسليم وحدات الجيش فى سوريا مدونة من باب الاحتياط وتبينون بالعبارات التالية لذلك بأنه لا دخل لهذه المادة بالقطعات الموجودة فى الجبهة . ومن رأى العاجز أن المادة المذكورة دونت من قبل الانجليز لاغفالنا ولامراء فى اختلاف وجهى النظر فى تفسير نصوص المهادنة التى وقع مندوبو الحكومة السنية عليها

لانه رغما عن اعتبار أنه لا يوجد لنا قطعات عسكرية فى سوريا بموجب المادة المذكورة ، فان الانجليز استنادا على هذه المادة طلبوا تسليم الجيش السابع باعتبار أنه موجود فى سوريا كما سيتضح لكم الامر من التفصيلات المدونة بالتقرير عن هذه الليلة ( ٩/١١/٣٤ ) . أما سؤالى عن حدود كليكيا التى أفدتم بأنكم ستوضحونها اذا اقتضى الحال فالغرض من ذلك هو معرفة ماذا كانت الحكومة السنية التى اعترفت رسميا بهذا الاسم التاريخى وحدوده ، التفتت الى أن الاطلس الانجليزى المبين لحدود هذه المنطقة يمر من شمال مرعش فى حدود سوريا الشمالية ، شرقى كليكيا؟ لأنه من رأيى أن الحكومة الانجليزية التى وضعت اسم (كليكيا) التاريخى بدلا من اسم (أطنه) ترمى بلا ريب الى قبول مد الحدود السورية الى شرقى الحدود الشمالية لقطعة كليكيا . ويؤيد رأيى هذا الخريطة المرسلة من القائد الانجليزى فى حدود العراق الى الجيش السادس ، حيث يمر خط الحدود فيها من (سمرد). وقد بدأ الانجليز فى اخراج جنودهم الى (اسكندرونه) منذ أيام وفى ادخار الذخائر فيها لاغاثة جنودهم مع وجود الكميات الوافرة من الارزاق فى حلب والسبب فى ذلك راجع الى وجود اسكندرونة على الحدود السورية الكيليكية فى الخريطة المبينة لمنطقة كليكيا . وأعرض باخلاص اننا اذا أخذنا فى تسريح الجيش والانقياد للانجليز فى كل شىء قبل التوسل فى التدابير اللازمة لازالة سوء النية والابهام فى نصوص المعاهدة لا يبقى سبيل للوقوف أمام أطماع الانجليز .

قائد وحدات جيش الصاعقة

مصطفى كمال

الى قيادة وحدات جيش الصاعقة

رقم الحربيه
٢١٣٥ ٥/١١/٣٤ « ملحق »

صورة الأمر المبلغ الى قيادة الجيش السادس : « كنا قد أخطرنا الفيس آميرال جالثورب الموجود فى ( موندوروس ) بأن قيادة الجيوش الانجليزية فى العراق ليس لها حق احتلال الموصل أو نفسير حدود العراق كما تريد ، بموجب المعاهدة وأنه لا يوجد فى أصل المعاهدة ما يفيد احتلال اسكندرونة . ويؤخذ من اجابة الأميرال المشار اليه أنه أخطر لوندره فى الحال بوجوب اصدار الأوامر الى قواد الجيوش الانجليزية لاجتناب الحركات المؤدية الى سوء التفاهم بشأن الموصل والمواقع الأخرى . بناء عليه نرجو تبليغ ذلك بصورة لطيفة الى قواد الجيش الانجليزى بشأن انتظار الأوامر التى ستصدر اليهم من لندرة بهذا الصدد .

الصدر الأعظم ورئيس أركان حرب القيادة العليا

عزت

الى قيادة وحدات جيش الصاعقة

الاجابة على التقرير رقم ٦٥٠ دار الصدارة
تاريخ ٤/١١/٣٤ ٥/١١/٣٤ « ملحق »

ولو أنه ليس للانجليز حق احتلال اسكندرونة بموجب نصوص المتاركة ، الا أننا نرى أنهم على حق فى طلب استفادتهم من اسكندرونة لتموين جيوشهم الموجودة فى حلب . ولقد تفضل المندوب الانجليزى باعطاء الايضاحات والضمانات بخصوص تعديل مواد الهدنة شفاها .

نظرا لضيق الوقت — وانى ازاء هذا التلطف . وأملا فى ملافاة خروج اليونان الى ميدان العمل، لاأرى بأسا من جهة موقف الجيش فى اعطاء التسهيلات اللازمة للانجليز ، فى اخراج الذخائر الى ميناء الاسكندرونه، ومساعدتهم فى اصلاح السكة الحديدية ، بين اسكندرونه وحلب، لتنظيم وسائل النقل . وإننا بهذه المساعدة التى نقدمها لهم ليستفيدوا من هذه الميناء وهذا الطريق ، لانكون تركنا لهم ميناء الاسكندرونة وبلدتها فأنهما سيبقيان لنا كما كانا وتبقى حكومتنا العسكرية والملكية . . ؟ فى مكانها، أما هم فلا يستفيدون من الطريق، والمرفأ الا كما يستفيد الضيف . ونرجو ابلاغ ذلك من طرفكم العالى الى قائد الجيوش الانجليزيه فى سوريا .

الصدر الأعظم

ووكيل أركان حرب القيادة العليا

عزت

[illegible] أركان حرب القيادة العليا

آطنه

٦/١١/٣٤

ساعة أول

رقم - ٥٧٩

« يعدم كل من يؤخر ابلاغ الرسالة »

علمت بمحتويات تلغرافيكم المرسلين بالتتالى بتاريخ ٥/١١/٣٤ المرسل أولها بصفة اعتيادية ، وثانيهما بالاولوية السرية ، وأعترف لكم انى

اضطررت الى التوقف وإمعان النظر فى تطبيق ما ذكرناه :

ان للانجليز على حق فى الاستفادة من اسكندرونة تموين جيوشهم المعسكرة فى جوار حلب ، لأنه فضلا عن وجود كميات جسيمة من الذخائر فى ولاية حلب التى هى تحت سيطرتهم ، وفى نفس مدينة حلب ، فانه بموجب المادة الحادية والعشرين من شروط الهدنة أنه اذا اقتضى تموين الجيوش الانجليزية الموجودة فى حلب ، فيمكن اتخاذ التدابير الخاصة لمداركة الذخائر من أطراف كليس وعنتاب التى تتوفر فيها الارزاق بكثرة. وانى اؤكد لحضرتكم أن الغرض ليس تموين الجيوش الانجليزية الموجودة فى حلب وانما الغرض احتلال اسكندرونه ثم الزحف من طريق اسكندرونه — قيريق خان — قاطمه » لقطع خط الرجعة على الجيش السابع الموجود فى خط انطاكية — ديرجمال — اخترين ، ليصبح هذا الجيش أمام أمر واقع ، فلا يجد مناصا من التسليم كما فعلوا مع الجيش السادس فى الموصل ، ومما يؤيد هذا الظن هو شروع الانجليز فى تقوية العصابات الارمنية الموجودة فى « اصلاحيه » .

وأعرض بأنى لست بالرجل الذى يقدر مجاملة المندوب الانجليزى فيدفعه هذا التقدير الى بذل « التلطف » المطلوب .

وبما أنى لا اجد أية علاقة منطقية بين خروج الانجليز الى الاسكندرونه ليتصلوا بمركز جيشهم فى حلب ، وبين الحيلولة دون خروج اليونان الى ميدان العمل ، فلذلك أرى أن التسامح فى هذا الصدد محفوف بالمخاطر

وبناء على ذلك فانى آسف لعدم استطاعتى التوسط فى تبليغ ذلك الامر من قبل دولتكم الى قائد الجيوش الانجليزية فى سوريا .

وقد أصدرت أمراً بمقابلة الانجليز الذين سيخرجون الى الاسكندرونة لأى سبب وبأى وسيلة بالرصاص ، كما أصدرت أمراً الى الجيش السابع بالتحرك الى الحدود الداخلية فى كيليكيا على طول الخط بين قاطمة ـ واصلاحية بعد اتخاذ التدابير اللازمة لترك فرقولات أمامية ضعيفة فى خطوطه الحالية ،

وبما أن طبيعتى لا تساعد على تنفيذ الأوامر التى تتضمن استصواب ما يقوم به الانجليز من مناورات مبنية على التغفيل والمراوغة، وطلب التلطف معهم ازاء ذلك . وبما أنى عند عدم قيامى بتنفيذ ما تصدره الى رئاسه أركان حرب القيادة العليا حسب ما يتراءى لها ، أقع تحت مسئوليات عديدة ، فلذلك أرجو بصفة خاصة وفى أقرب فرصة ممكنة تعيين من يقوم مقامى فى القيادة لتسليم عهدة الجيش اليه .

قائد وحدات جيش الصاعقة

مصطفى كمال

الى قيادة وحدات جيش الصاعقة

الحربية

٣٤/١١/٦

٣٤/١١/٧

٥—٧— أول الورود

الاجابة على المكاتبتين السريتين رقم ٧٨١ — ٧٨٢

١ — الأمر الماضى باستعمال السلاح ضد الذين سيخرجون الى الاسكندرونه مغاير بالكلية [illegible] وتصحيح هذا

الأمر الخطأ فى الحال ، ولا ننكر أنه حدثت مشكلات من جراء تفسير نصوص مواد الهدنة تفسيراً سيئاً ومن تطبيقها وتنفيذها على غير الشكل الملائم ، الا أن الذي يجبرنا على قبول هذه الاحكام الغير الملائمة، ليست هى الغفلة وانما هى هزيمتنا التامة. والدولة تبذل مساعيها بشأن الحالة السياسة الحاضرة ، وترجو أن تتوفق فى هذا السبيل .

ونفيدكم بكل اخلاص انه لا ريب مطلقا فى أن الحركات والاعمال التى تؤدونها فى الجبهة فى هذا الظرف الدقيق ، لها تأثير كلى فى مستقبل الدولة ، ومع ذلك فاننا لا نرى ان الحالة الحاضرة الدقيقة تتحمل التأخير والمناقشة ، فالتعليمات الصادرة من قبلنا الى الجيش يجب اتباعها بصفة قطعية . ومن الممكن أن نأمر بالغاء وحدات الجيش وابقاء بعض جنوده تحت عنوان ( معسكر الجيش السابع ) ، وبما ان مفتشى الوحدات وكبار الضباط يبقى حقهم محفوظا فى الجيش السابع أيضا ، فان من المنتظر ألا يمتنعوا عن تأدية الواجب وقت العمل .

الصدر الأعظم
أحمد عزت

الى حضرة الصدر الاعظم احمد عزت باشا

أطنه

---

٧ / ١١ / ٣٤

الجواب على المكاتبة السرية بتاريخ ٦ / ١١ / ٣٤

١ — عرض لكم نص الامر السامى الذى أصدرناه فى ٥ / ١١ / ٣٤

[illegible]

( اتضح لى ان الانجليز عازمون على اخراج مركز قطعات الجيش السابع باخراج جنود الى الاسكندرونه تحت ستار اعذار مختلفة . ورغبة فى الحيلولة دون تنفيذ هذا الغرض ، يجب على الفيالق الثالث أن يمنع بقوة السلاح اذا اقتضى الحال، خروج الجيوش الانجليزية وذلك الى حين الانتهاء من اتمام التدابير الخاصة بالفيلق العشرين، وهى التدابير المذكورة فى المادة الاولى)

وأما المادة الاولى المشار اليها فهى خاصة بانسحاب جميع جنود الفيلق العشرين الى شمال خط « قاطمة — صوباشى »

وبما أن التدابير الآنف ذكرها قد انتهت فلم يبق ما يدعو الى تنفيذ أمر استعمال السلاح . وعلى كل فقد أعدت الكرة بتبليغ ارادتكم الفخيمة من جديد الى قائد تلك الناحية .

٢ — أتضرع بكل قواى بأن يعينكم المولى سبحانه وتعالى بالتوفيق فى مساعيكم السياسية المرجوة بشأن انقاذ الدولة من حالتها الحرجة التى ورثتها من سيئات الحكم الماضى . ولا ريب عندى فى اخلاصكم نحوى، ازاء ما أقوم به من الاعمال والمساعى فى الجبهة . وسأبرهن لكم على وثوق

بهذا الاخلاص عند أداء الواجب الذى أتحمله فى سبيل انقاذ البلاد .

٣ — وليس شىء أدعى للتأثر من أن تذهبوا فى الظن الى أنى غير مقدر لدقة الموقف الحالى . وأرجوكم بصفة خاصة ألا تحملوا رجائى اليكم بشأن بعض الامور التى أتمسك فيها لسلامة الدولة على سبيل التلكؤ فى تنفيذ أوامركم .

٤ — ما ارادتكم الفخيمة بخصوص التشكيلات الجديدة المتضمنة

جعل معسكر الوحدات ، معسكراً للجيش السابع فقط ، فهي مطابقة لما عرضته بشأن الغاء معسكرات الجيشين : السابع والثانى ، وابقاء معسكر الوحدة . وليس بين الرأيين سوى فرق لفظى . والقطعات الموجودة الآن تحت قيادتى باسم جيش الصاعقة اذا عملنا على تصفيتها من أدران السيئات الموروثة عن الماضي ، لصادفتنا عقبات جمة ، الى أن يتقرر السلم ، بصرف النظر عن الملاحظات والأسباب الاخرى العديدة . وبما أن الجيش السابع مقضى بالغائه ان لم يكن اليوم ففى القريب العاجل، لذلك أطلب الاذن بالغائه الآن ، والمحافظة على عنوان ( وحدة جيوش الصاعقة ) لما له من الاثر المعنوى الكبير وحفظا لهذا الاسم التاريخى ، وذلك بتوجيه قيادته الى أى شكل من الاشكال .

مصطفى كمال

الى قيادة الجيش السابع

رقم ٢٤      ٨ / ١١ / ٣٤
٩٣٥ — أول

سيرسل اليوم الفيس أميرال جالناروش بناء على الامر الصادر اليه من الحكومة البريطانية، الى الجنرال آلاندى بأن يطلب من مدينة اسكندرونة ان تسلم فى خلال مدة معلومة سيبلغها اليها والا اضطر الى احتلالها بالقوة . وبما أننا عاجزون بصفة قاطعة عن الاستمرار فى الحرب ومن الواضح ان شروط الهدنة التى تمكنا من ابرامها بصعوبة يمكن فسخها من أجل مدينة اسكندرونه، فلذلك يقتضى ارسال التعليمات السريعة الى قائد معسكر اننا فى تلك الجهة مع بيان المواد السادسة والعاشرة —

والسابعة عشر من نصوص الهدنة التى تقتضى بتسليم المدنية عند طلب ذلك، والقيام بتبليغ هـذا الامر كذلك الى كل من يلزم بشأن الجلاء عن المدنية وتسليمها عند طلب ذلك .

مع ان الطلب الاول كان لا يتعدى الانتفاع بالسكك الحديدية لتموين الجيوش . غير انـ ما عاملهم به قائد المعسكر هناك من الخشونة وعدم مراعاة ظروف حالتنا الحربية ، أوقعنا الآن فى مواجهة مثل هذا الطلب القاسى وعليه تأمل ان تلاحظوا عجزنا الان عن الاستمرار فى الحرب وان تسيروا الامور وفقا لهذه الظروف حبا فى سلامة البلاد

الصدر الأعظم

ورئيس أركان حرب القيادة العليا

احمد عزت

الى حضرة الصدر الأعظم عزت باشا

آطنة

٣٨/١١/٨

أخـذت أمركم السامى المؤرخ فى ١٤/١١/٨ بشأن تسليم مدينة الاسكندرونة الى الانجليز . ولم نفهم السبب فى ظنكم أننا قابلنا بخشونة طلب الحلفاء الاول بشأن الانتفاع بمرفأ اسكندرونه وطريق حلب

وعند ما أراد الانجليز بأعذار وأسباب مختلفة احتلال اسكندرونه وطلبوا ذلك منا أولا وآخرا ، كانت اجابة قائدنا فى كل طلب على غاية من التلطف والمجاملة ووفقا للتعليمات الصادرة منا ومتمشية تماما مع شروط الهدنة وأوامر دولتكم ، كما هو واضح وثابت من الوثائق المحفوظة فى

مركز الجيش . وليس فى الرسالة الواردة من قبل الحكومة الانجليزية مايدل على أن مندوبى تلك الحكومة فوجئوا بجواب خشن فى هذا الصدد . وعليه يجب التحرى عن أسباب تشدد الانجليز فى مطالبهم الاخيرة فى جهة أخرى ، وبما أنه لاريب فى أن أمثال هذه المطالب الشديدة التى ستجر الى احتلال جميع البلاد ستكرر ، فأرى من واجبى ان الفت نظار دولتكم الى وجوب التفكير العميق فى الاسباب التى شرحتها .

وقد أخطرنا القائد الانجليزى الموجود فى حلب انه لامكان الاستفادة من طريق اسكندرون — حلب قد طلبت القيادة الانجليزية العليا من الاستانه انسحاب قواتنا الى شمال خط ( كليس — ... ) وانه يلزم مساعدته فى ارتياد هذا الطريق منذ الآن لعدم ضياع الوقت ، وقد اطلعتم بالطبع على التقرير المقدم من قائد الجيش السادس بتاريخ ٧ / ١١ / ٣٤ وبموجب هذا التقرير كيف يمكن تفسير ماطلبه الانجليز من الاشارة الى احتلال سكك حديد ( نصيبين — جرابلس — حلب ) والامر الصادر من قائد عام الجيش الانجليزى بمغادرة الموصل عقب ذلك والا احتلالها بالقوة .

ومن هذا يعلم أنه لاداعى الى حمل المسألة على الخشونة المزعومة من قبلنا .

وغرض العاجز من هذه الملاحظات أن الهدنة التى عقدت مع الانجليز بأى سبب كان ، ليست حاوية للمعانى التى تكفل تماما سلامة البلاد وتصون الدولة العثمانية ، فيجب الاسراع حالا فى تثبيت مدلول المواد المبهمة المذكورة

المبهمة المذكورة والا اذا ماشينا الانجليز فى طريقهم هذا فانهم بعد أن طلبوا اليوم الاراضى الممتدة حتى خط ( باباس — كليس) سيطلبون غدا منقطة كيلكيا الممتدة الى طوروس، وبعد ذلك يطلبون احتلال خط قونيا — ازمير، وتكون النتيجة ان يصبح فى يدهم زمام الجيش ومقاليد الحكم فيه، وليس من المستبعد بعد ذلك أن نجد انجلترا تطلب تعيين هيأة الوزارة العثمانيه من قبلها.

انى على معرفة تامة بضعفنا وعجزنا، ومع ذلك فأنا لا أتزحزح عن عقيدتى بوجوب تعيين وتحديد التضحية التى يمكن ان تبذلها الدولة. والا فاننا نمكن الانجليز بأنفسنا من الوصول الى النتيجة التى يرمون اليها وهى انهزامنا بالكلية فيما لو كنا داومنا الى النهاية نحارب متفقين مع ألمانيا. وهذه صفحة سوداء فى تاريخ العثمانية ولا سيما فى تاريخ حكومتنا الحاضرة.

أما اذا كانت الحكومة السنية قد أبرمت اتفاقا خفيا مع الانجليز يمكن الوثوق به والاطمئنان اليه، أو أنها تكاد تبرم مثل هذا الاتفاق، فان اخفاء مثل هذا الأمر عنا، يدفعنا الى آراء وملاحظات غير صائبة. ولذلك أرجو توضيح ذلك لى ولو ايماء. كما أرجو بصفة خاصة ألا تنزلوا ملاحظاتى هذه التى أبديها بمحض الاخلاص وبدافع القلق على سلامة الوطن العزيز منزلة المناقشة فحسب. اذ تعلمون دولتكم يقينا أنى لا أستطيع أن أمنع نفسى — فى أى حال من الأحوال كنت — عن اتباع اجتهادى الذى أراه واجب الاتباع لسلامة البلاد، وعن القيام بابلاغ وعرض ذلك على من يهمهم الامر.

مصطفى كمال

قال الغازي بعد ايداع الوثائق السالفة الذكر:

« وبعد قراءة ملاحظاتي وآرائي والاطلاع على الوثائق التي تؤيد تلك الملاحظات ، وهي التي أودعتها لكم ، أدعو متنوري الاتراك الى التأمل الفكري والوجداني . ولا تظنوا أن هذه الوثائق التي أسردها اليكم على سبيل المذكرات أنقلها اليكم مدفوعًا الى ذلك بالرغبة التي تدفع بعض الرجال في زمننا الى نشر مذكراتهم . واذا كنت اليوم أعرب لكم عن هذه الحقائق وأبلغها لقومنا فالغرض مغاير بالكلية لاغراض الذين ينشرون المذكرات . ولا أستطيع أن أشرح هنا هذا الغرض ولكن مما لاريب فيه ، أنه بعد قراءة الاسطر التي تبين بصراحة وصدق ، آمالي وأمنياتي ، تكون لابناء وطني وثائق ضرورية تمكنهم من تكوين الرأي عن الحالة أ... »

ولو أن الرجال الذين تحدثت عن عقلياتهم ، لم تكن الحوادث والوقائع قد أثبتت بعد ، قلة جهلهم بشؤون الدنيا ، لكنت أرى من الضروري الانتظار مدة أخرى ، خشية ألا تفهم حقيقة أقوالي . غير أني أرى أنه لم يبق مايدعو الى التريث والانتظار لامن قبلي فقط ، بل من قبل الامة التركية أيضًا .

— ٣١ —

*نتيجة غير منتظرة في مجلس المبعوثان .*

أرسل الى عزت باشا ذات يوم اشارة برقية يقول فيها أنه استقال من الوزارة وأنه يستصوب حضوري الى الاستانة . ففهمت من هذا التلميح أن الآستانة تعاني اضطرابات خطيرة فسافرت في الحال ، اذ كانت الوحدة التي أنرأسها قد ألغيت . وعلى ما أذكر أنني تقابلت اذ ذاك مع عزت باشا للدفعة الاولى في دار الصدارة الكائنة أمام تربة فؤاد باشا ، حيث كان لم يزل في الوزارة بعد . وأوضح لي الاسباب التي دعته الى ترك الوزارة فاذا هي أسباب تر تكن على أمور رآها ماسة بكرامته الشخصية ولم أستصوب اذ ذاك استقالته ، وأوضحت له أنه يحسن عدم تشكيل الوزارة برئاسة توفيق باشا الذي قبلها بل الأصوب تأليفها من جديد تحت رئاسته هو . وبعد حوار طويل في الحالة الحاضرة اقتنع برأيي ، وأعددنا قائمة جديدة بأسماء الذين رأينا تأليف الوزارة منهم وقد فاتني أن أذكر بهذه المناسبة، أنه عند وصولي الى الآستانة ، لم يكن فيها أركان الوزارة التي تقلدت الحكم أثناء الحرب .

وبعد هذا الرأي الذي استقر عليه الفكر في دار الصدارة ، أخذ كل منا يسعى من ناحيته ، لتنفيذه وتحقيقه . ولما كان الغرض الأول هو اسقاط الوزارة فقد وجهت همتي في الحال الى الاتصال ببعض أصدقائي من المبعوثين وأوضحت لهم وجهة نظري ، وطلبت منهم السعي في مواجهتي بجماعات أخرى من المبعوثين . وبواسطة هؤلاء الاصدقاء دخلت لأول مرة ، وبملابس ملكية ، دار مجلس المبعوثان في قصر (شانا قلي) وكان الموضوع الذي سيطرح

ذلك اليوم للمناقشة هو الاقتراع على الثقة بوزارة توفيق باشا وكان من رأيي عدم الثقة بها فكنت أسعى في شرح نظريتي بسرعة وبقدر الامكان للمبعوثين الذين أتعرف بهم بدلالة أصدقائي. وكانت الفكرة التي تخالج صدور فريق من المبعوثين، هو أنه اذا أظهروا عدم الثقة بالوزارة فسوف ينحل المجلس، أما إذا أعطوا ثقتهم فانهم يغتنمون فرصة يتمكنون خلالها من القيام ببعض الأعمال النافعة. أما أنا فقد كنت واثقاً بحل مجلس النواب على أي الاحوال، وأن الحل سيكون على يد الوزير الجديد، وكان عليه لتنفيذ هذه الفكرة أن يحوز أولا ثقة المجلس ليتسنم غارب الصدارة قانونا ثم يعمد بعد ذلك، خلافا لما يظنه فريق من النواب، الى حل المجلس في الحال دون أن يمكنهم من اغتنام أي فرصة. وما دامت النتيجة ستكون حتما حل المجلس فكان من الأصوب عدم الثقة بالوزارة واعادة ذلك تكراراً، أملا في اغتنام الفرصة المطلوبة من هذه الناحية، حيث يكون في الاستطاعة تهيئة الجو الصالح لتأليف وزارة تحت رئاسة عزت باشا. وقد وصلت بمناقشاتي ومحاوراتي التي كنت أقوم بها في صالونات المجلس وممراته وأنا على رجلي أنتقل من ركن لركن الى هذه النتيجة وهي اجتماع كتلة كبيرة من النواب في ردهة من ردهات المجلس ودعوتي اليهم لايضاح رأيي على تلك الكتلة وهي مجتمعة. وقد حاولت اذ ذلك على قدر ما أستطيع أن أشرح لهم الحالة بوجه عام وموقفهم ازاء هذه الحالة والتدابير التي يجب عملها وختمت بياناتي بحثهم على عدم الثقة بالوزارة في أي حال من الاحوال.

وقد تميز المجتمعون في تلك الردهة النزول عند رأيي. وبعد أن أكدوا لي وثوقهم من تحقيق أمنيتي ادروا ... عين الى الصالة العامة انتظاراً

لاشارة رئيس المجلس فى الاجتماع . وكنت أنا فى أحد الألواج أنتظر نتيجة القرار، فقرئت الاسماء وأعطيت الاصوات ، وعند فرزها واعلانها ظهرت النتيجة بالثقة فى الوزارة بأغلبية الآراء ! ... ولا أكذبكم الحقيقة أنني دهشت لهذا الامر لان عدد المبعوثين الذين أعربوا عن قبول رأيي لم يكن قليلا ، لاسيما أن بين هؤلاء مبعوثين ذوى مكانة ونفوذ . ولا ريب أنكم لاتستغربون لدهشة عسكرى مثلى ، لانه مايعترى حياة المجالس النيابية من التبدل والتحول فى كل حين وآن

ولم أمكث كثيراً بعد ذلك فى هذا المجتمع الذى يضم أعاجيب شتى من المشاعر والافكار ، فتركت فى الحال قصر مجلس المبعوثان العثمانى وطلبت تلفونياً حال عودتى الى منزلى اذناً بمقابلة وحيد الدين : اذ كنت أرى من الفائدة مقابلته فى الحال وكان غرضى أن أفاتحه رأيى بصراحة وأن أبين له التدبير الواجب اتخاذه فى الحالة الحاضرة وأشرح له الضرورة القاضية بالتماس هذا التدبير . وكنت أظن أنى أستطيع اقناع السلطان بالرأى الذى عولنا على تنفيذه . وقد لمحت لناجى بك ( باشا الآن ) بغرضى من طلب الاذن بالمقابلة ولا أشك مطلقا فى أن ناجى بك بذل مافى وسعه لتكون المقابلة فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى الا أن وحيد الدين الذى كان يكتم فى نفسه قراراً خفياً بشكل شيطانى ، أمر وهو يتظاهر بالوداعة وصفاء النية أن أكون حاضراً فى حفلة السلاملك يوم الجمعة المقبلة لمقابلته وكانت الجمعة بعيدة غير أنه لم يكن فى الاستطاعة عمل شىء آخر .

— ٣٢ —

مقابلة محاطة بالأسرار.

ذهبت يوم الجمعة الى حفلة (السلاملك) وبعد الصلاة تقابلت مع وحيد الدين مقابلة، ذهب الحاضرون خارج الصالون الى انها كانت طويلة. وقد استمرت المقابلة فى الحقيقة مدة طويلة باعتبار الزمن، الا انها كانت قصيرة باعتبار مادار فيها من الافكار والحوار. وبينما كنت أهيء مقدمة للموضوع الذى تقدرونه، تقدمنى فى الكلام بمهارة وقال:

— انى واثق بأن قواد الجيش وضباطه يخصونكم بمحبة وافرة فهل تؤكد لى ألا يصلنى أذى من قبلهم؟

فلم أستطع فى الحال أن أفهم غرضه من هذا السؤال، فسألته:

- هل وصلتكم يامولاى معلومات عن الجيش تشعر بتدبير يعمله ضدكم؟

فأغمض عينيه ولم يفه بأجابة سابية أو ايجابية بل كرر نفس السؤال، فقلت:

— وصلت الى الاستانة منذ أيام قلائل ولا أعلم الحالة تماما ولكننى لا أظن أن هناك سببا يدعو الى وقوف الجيش ازاءكم موقفا عدائيا ولذلك أبادر بأن أؤكد لكم ألا تنتظروا من الجيش ما يضركم. فقاطعنى مجيبا بهذه الاقوال المبهمة:

- لا أتحدث عن هذا اليوم وانما تحدثت عن اليوم وعن الغد..

وقد حركت الجملة الأخيرة ذرات الشبهة فى نفسى، حيث تبادر الى الذهن أن السلطان من المحتمل أن يقوم بأمر يغضب قواد الجيش وضباط

الوطنيين . وربما صاحب العظمة أن يستعمل نفاقى ليطمئن من أركان الجيش بواسطتى . ولكن كيف أستطيع أن أبين له ما جال فى ذهنى ؟ وهل فى مثل هذا الابتهاج أى فائدة لى وللغرض الذى نرمى اليه ؟

كان محدثى ، تظهر عليه أمارات العزم على تنفيذ قراره منذ أمد بعيد . أما نحن الذين لم نفهم هذا القرار ولا نريد أن نفهمه ، فقد كنا فى موقف من فاتته الفرصة للتشبث بأى تدبير من التدابير .

وعند ما افتتح السلطان بينيه انتصب واقفاً وختم مقابلته التى تشرفت بها بهذه الكلمات :

— أنتم قائد ذو دراية وعقل وأنا واثق من أنكم ستعملون على تسكين وتنوير زملائكم .

وقد خرجت من صالة وحيد الدين يائسا متأثرا دون أن أعرف سببا حقيقيا لتأثرى .

وقد شعرت وأنا خارج من الصالون أن أنظار الواقفين خارجه متجهة نحوى ، فى شيء من التأمل لهذه المقابلة التى دامت نحو ساعة من الزمن ، ذات معنى خفى لم أستطع ادراكه اذ ذاك . أما بعد أيام فقد فهمت كل سر فى تلك النظرات . وكلكم يعلم ما حدث فى تلك الأيام ، وهو حل مجلس النواب !

وقد سمعت بعد حل المجلس ، أن لتلك المقابلة الطويلة علاقة بهذا الحل ، حيث كان السلطان يتشاور معى فى هذا الشأن وانى استصوبت رأيه وأفهمته بأن الجيش على هذا الرأى أيضا ، وأنه استوثق منى ومن زملائى قبل الاقدام على تنفيذ الفكرة .

لم أكن فى حالة تسمح لى بالاهتمام لأمثال تلك الاشاعات، اذ كنت فى أشد التأثر ، لأن الرأى الذي فكرنا فيه أنا وعزت باشا وبعض زملائى فى دار الصدارة لم نستطع انفاذه . وكنت وأنا فى بيتى فى (شيشلى) ، أرقب الحالة الجديده . وكانت شوارع الآستانة امتلأت بجنود الحلفاء وكان البوسفور يموج بمدرعات الحلفاء التى تصوب أفواه مدافعها ذات اليمين واليسار ، بحيث تغطى زرقته . ويكاد لا يخرج الناس من بيوتهم الا لقضاء مصالحهم الضرورية ، حيث ينسلون فى سيرهم من جوانب الحيطان بخفية وتؤدة ، خشية التعرض لأنواع التحقير وضروب الاهانة . وكانت المناظر الفجيعة لا تكاد تنقطع فى كل يوم ، رغم الاحتياطات التى تبذل . الآستانة العظيمة ارتدت جلباب الذلة ، ومئات الألوف من سكانها خفتت أصواتهم . فلا تسمع ولا ترى فى جوها سوى صوت العدو ، وصدى تحقيره ، وقعقعة سلاحه ، وتماوج أعلامه .

ومن المدهش أن نرى أناسا يفرضون وجود السلطنة والحكومة والحياة فى هذا الوسط الذى كانت تطأه الاقدام كما تطأ خرقة قذرة .

